مكتبة الأسرة
2002
مهرجان القراءة للجميع 2002

روائع الأدب العالمي للناشئين

تأليف: جون بوكان / ترجمة: صبري الفضل



درجات السلم التسع والثلاثون

الهيئة المصرية العامة للكتاب

درجات السلم التسع والثلاثون

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: درجات السلم

التقنية: أقلام ملونة على ورق

المقاس: ٢٥ × ٣٥ سم

محمود الهندى (١٩٤٣ -   )

فنان تشكيلى مصرى، ومصمم جرافيكى، تخصص فى صناعة الكتاب، وابتكر صيغة موازاة الأعمال الأدبية بالأعمال التشكيلية فى الكتب منذ عام ١٩٦٤، ثم أقام معارضه داخل متون الكتب، ويحاول الولوج إلى عالم رسوم الأطفال، فأنجز العديد من الكتب للأطفال لدور النشر المختلفة، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المركز القومى للطفل، هيئة قصور الثقافة، مؤسسة دار الهلال.

درجات السلّم التسع والثلاثون

تأليف: چون بوكان

ترجمة: صبرى الفضل

مراجعة: مختار السويفى

مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العالمى للناشئين)

درجات السلم التسع والثلاثون
تأليف: جون بوكان
ترجمة: صبرى الفضل
مراجعة: مختار السويفى

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى

الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبد الواحد

المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة بإصداراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيباً فى المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء، بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصداراتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع، بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى «مكتبة الأسرة».. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ سوزان مبارك..

د. سمير سرحان

هذه ترجمة لرواية:

THE THIRTY - NINE STEPS
BY: JOHN BUCHAN

رئيس التحرير: مختار السويفى

مقدمة

ولد چون بوكان فى بيرث، باسكتلندا ـ عام ١٨٧٥ ، ومات فى مونتريال، بكندا ـ عام ١٩٤٠ . كان رجل دولة وكاتباً مشهوراً بقصصه عن المغامرات سريعة الخطوة. وكتبه الخمسون كتبها كلها فى وقت فراغه، بينما كان يلعب دوراً نشطاً فى السياسة والدبلوماسية والنشر، المتضمن الكثير من السير والروايات التاريخية.

كان ابناً لرجل دين. تعلم فى جامعتى جلاسجو وأكسفورد، حيث بدأ ينشر أعماله القصصية والتاريخية. وعمل مع المندوب السامى البريطانى بجنوب إفريقيا (١٩٠١ ـ ١٩٠٣) . ولقد استخدم خبراته الإفريقية بشكل جيد فى رومانسيته، «بريستر جون»

(١٩١٠)، تنبأ فيها عن صحوة إفريقيا. وعند عودته للندن عمل مديراً لدار نلسون للنشر، حيث كتب لها أعظم رواياته.. وأثناء الحرب العالمية الأولى عمل بالحكومة، وفى عام ١٩١٧ أصبح مديرا للمخابرات البريطانية.

ورواية «درجات السلم التسع والثلاثون»، هى أشهر وأول قصة من سلسلة قصص التحرى السرى المثيرة التى كان بطلها السيد المهذب «الچنتلمان» ريتشارد هاناى. وظهرت عام ١٩٣٥، فيلماً سينمائياً لمخرج الإثارة والتشويق الفريد هيتشكوك.

وبوكان يُذْكَر الآن أساساً من أجل قصصه هذه التى مهدت الطريق لشخصية جيمس بوند، للكاتب أيان فليمنج. وهى قصص عن أعمال المخابرات والتحرى السرى التى ذاع صيتها فى شتى أرجاء العالم.

وبعد الحرب أصبح بوكان مديراً لوكالة رويتر للأخبار، وعضواً فى البرلمان عن الجامعات الاسكتلندية. وكتبه فى السير ومنها مونتروز (١٩٢٨)، سير والتر سكوت (١٩٣٢)، معروفة بالفهم الذكى للتاريخ والأدب الاسكتلندى. وفى عام ١٩٣٥ أُنعم عليه بلقب لورد (تويد سموير الأول)، وعيّن حاكماً عاماً لكندا، حتى وفاته.

والآن أيها القارئ الحبيب هيا بنا نلهث مع فن بوكان باستخدامه لمغامرات المخابرات وأعمال التحرى المثيرة، وفى تحويل الميلودراما إلى سرد مشوّق معقول قابل للتصديق.

صبرى الفضل

١. الرجل الذى مات

اسمى ريتشارد هاناى،وأنا فى السابعة والثلاثين من عمرى، ولدت فى اسكتلندا، لكن فى عــام ١٨٨٣ رحلت عــائلتى إلى روديسيا(*) . ونشأت هناك وعملت باجتهاد لمدة عشرين سنة. ثم عدت إلى بريطانيا فى مارس ١٩١٤ . وكان ذلك قبل الحرب العالمية الأولى بخمسة أشهر. وجلبت معى مالاً وفيراً، فكنت أريد أن أقضى عطلة طيبة. فى الحقيقة، كانت بريطانيا هى مركز كل أحلامى وخططى، وكان أملى أن أبقى فيها بقية عمرى.

وفى مارس كنت أعيش فى لندن فى شقة قد استأجرتها. وفى إحدى الأمسيات كنت أقرأ الصحيفة هناك وحدى. فقرأت عن

(*) التى هى الآن زامبيا شمالاً وزيمبابوى جنوباً بأفريقيا. (المترجم).



كان رجلاً بخيلاً له عينين فاتحتي الزرقة.

بعض المشاكل فى الشرق، وقرأت أيضاً عن كارولبديس، رئيس الوزراء اليونانى.

قلت لنفسى:

- إنه رجل طيب، وشـريف أيضاً. وربما يكون أقـوى رئيس وزراء فى أوروبا، لكن الألمان يكرهوه.

وفجأة سمعت طرقة خفيفة على الباب. فوضعت الصحيفة جانباً، وفتحت الباب. كان رجلاً واقفاً خارج الباب، وتعرفت عليه فى الحال. لم أكن أعرف اسمه، لكن كانت لديه شقة فى الطابق الأعلى. كان رجلاً نحيلاً له عينان فاتحتا الزرقة.

قال:

- إنى أقطن فى الطابق الأعلى. هل أستطيع التحدث معك؟ هل لى أن أدخل؟

فدعوته للدخول،وأغلقت الباب، فقال:

- آسف جداً، لكنى فى ورطة، هل يمكن أن تساعدنى؟

قلت:

- حسن، سأستمع لك، لكنى لا أستطيع أن أعد بأكثر من ذلك،

كنت أستطيع أن ألاحظ أنه عصبي. فلم يكن يقدر على الوقوف ساكناً، لذلك أعددت له مشروباً ليهدىء من روعه. فشربه في الحال. وعندما وضع الكوب، كسره.

فقال:

- أعذرني. إنني عصبي أكثر من اللازم الليلة، وهناك سبب وجيه لذلك. والآن يا سيدي دعني أقول لك بعض أسراري، إذ تبدو عليك سمات الشرف والأمانة، كما تبدو شجاعاً أيضاً. إنني في ورطة كبيرة وأحتاج لصديق يسمعني.

قلت:

- أخبرني بها، وعندئذ سأعطيك إجابتي.

قال:

- إنني أمريكي، جئت منذ بضع سنوات إلى أوروبا لأعمل في صحيفة أمريكية.. وتعلمت عدّة لغات، واكتشفت الكثير عن السياسات الأوروبية. كما أنني اكتشفت، أيضاً الخطط الألمانية عن الحرب، وأعرف جماعة من الجواسيس الألمان. باختصار، هؤلاء الجواسيس يقتفون أثري الآن ويريدون أن يصطادوني، وهذه هي الورطة التي أنا فيها. إذا كنت تعرف أي شئ عن

السياسة، يا سيدى، فستعرف أن أوروبا على حافة حرب، ويوجد رجل واحد فقط يستطيع أن يوقفها.

فسألت:

ـ من هو؟

ـ كارولنيديس رئيس وزراء اليونان.

قلت:

ـ أوه. لقد كنت أقرأ عنه تواً، توجد قصة فى الصحيفة المسائية.

فقال:

ـ نعم. حسن، الألمان يريدون قتله. وسوف يقتلوننى أنا أيضاً إذا استطاعوا. كارولنيديس سوف يأتى إلى لندن الشهر القادم. لقد قبل دعوة وزارة الخارجية فى الخامس عشر من يونيو، ولقد اختاروا ذلك التاريخ لقتله. وأنا الرجل الوحيد الذى أستطيع أن أنقذه.

ـ وكيف أستطيع أن أساعدك يا مستر...؟

قال:

ـ سكودر، فرانكلين ب. سكودر. لقد قلت لك، ياسيدى، إن هؤلاء الجواسيس يريدون قتلى. واعتقدت أننى آمن تماماً فى لندن. وكنت متأكداً أن أعدائى لم يتعقبونى إلى هنا. لكنى وجدت مساء الأمس بطاقة فى صندوق بريدى، وكان مدوّناً عليها اسم رجل. وكانن اسم ألد أزعدائى.

قلت:

ـ يجب أن تبلّغ وزارة الخارجية. سوف يساعدونك وسوف ينقذون كاروليديس أيضاً.

ـ لا يوجد وقت لذلك. أعدائى يعرفون أنى فى هذا المبنى. ولعلهم ينتظرون فى الخارج للإمساك بى. هل تعتقد أنى يمكن أختبىء فى شقتك، يا سيدى؟

قلت:

ـ حسن، من الأفضل أن أتحقق من قصتك أولاً، سأخرج وأتطلع حول العمارة. فإذا لاحظت أى شئ مريب فسأوافق على مساعدتك. هل هذا يرضيك؟

وغادرت الشقة وخرجت إلى الشارع. كان يوجد أمام العمارة رجل واقف، ورفع يده حالما شاهدنى. فتطلعت من حولى بسرعة

فلاحظت وجهاً في نافذة عبر الشارع. ورد صاحب الوجه على إشارة الرجل فوراً، ثم اختفى الوجه. اشتريت صحيفة أخرى من على ناصية الشارع ثم عدت إلى الشقة، وقلت:

- تمام يا مستر سكودر، يمكنك البقاء هنا الليلة.

لقد ثبتت قصتك. هناك شخص في الخارج يبدو مريباً. وأعتقد أن أعداءك يقيمون في منزل عبر الشارع. رأيت وجهاً عند النافذة، لكنه اختفى في الحال.

وأقام سكودر في شقتي بهدوء لبضعة أيام. وعندما كنت أخرج، كانت عصبيته تزداد. ولاحظت وقوف شخص ما دائماً خارج العمارة. كما رأيت الوجه عند النافذة عدة مرات لكن لم يأت أحد إلى الشقة.

كتب سكودر ملاحظات مقتضبة كثيرة في مفكرة سوداء صغيرة.

وحسب الأيام حتى الخامس عشر من يونيو وعلّم عليها في المفكرة.

وفي أحد الأيام قال:

- الوقت يجري بسرعة يا هاناي. إذا كانوا ما زالوا يراقبون المنزل، فلن أستطيع الهرب. إذا حدث أي شئ لي، هل ستواصل النضال؟

أحببت مغامرات سكودر، وكانت قصته مثيرة. لكن ليس لى اهتمام بالسياسة ،ولم أنصت له بشكل جيد. واستمر هو فى الحديث.

قال لى عن سيدة تدعى چوليا زيتشينى التى كانت واحدة من جماعة الجواسيس،وقال:

- إنها فظيعة يا هاناى، لكن الرجل الكبير أفظع .

كان هذا الرجل الكبير العدو الرئيسى لسكودر، وقام بوصفه بعناية فائقة.

قال:

- شئ غريب، فصوته صوت شاب صغير. وعيناه، يا هاناى! إذا شاهدت عينيه، فلن تنساهما. فهما صغيرتان وذكيتان مثل عينى العصفور.

وتحدث طويلاً فى ذلك اليوم. لا أستطيع أن أذكر كل ما قاله. لكنى لاحظت أنه كان عصبياً أكثر من المعتاد.

وفى المساء ذهبت للعشاء بالخارج مع صديق ،وكانت الساعة العاشرة والنصف عندما عدت. فتحت باب الشقة ودخلت. لم



وكان يوجد سكينا طويلا نافذًا لقلبه.

تكن الأنوار مضاءة، وبدا هذا غريباً بعض الشئ. فأشعلت الأنوار وتطلعت حولى. لم يكن يوجد أحد فظننت أ ن سكودر قد ذهب للنوم مبكراً.

دخلت الحجرة التالية فرأيت شيئاً فى الركن. ولم استطع للحظة أن أميّزه، لكنى عندئذ شعرت فجأةً ببرد ووهن شديدين. أردت أن أفتح فمى وأصرخ، لكنى لم أستطع الحركة أو التفوه بشئ.

كان سكودر راقداً على ظهره فى الركن. وكان يوجد سكين طويل نافذ لقلبه.ومقبضه شامخ فوق ملابسه، وكان الرجل السكين مثبتاً فى أرضية الحجرة.

* * *

٢. بائع اللبن

أخيراً جلست شاعراً بالاشمئزاز. جلست هكذا ربما لمدة خمس دقائق ثم أحسست بالخوف. كنت مضطرباً للغاية حتى أنني غطيت جثمان سكودر بمفرش المائدة. لكنني كنت لا أزال أرى هيكل مقبض السكين. كان يشير إليّ كالأصبع. فأعددت مشروباً لنفسي وجلست مرة أخرى أفكر.

مات سكودر وجثته تثبت صدق قصته. لقد قتله أعداؤه لأنه كان يعرف خططهم

فكرت:

- سوف يقتلونني بعد ذلك، فهم يعرفون أنه كان يقيم في الطابق الأعلى. ويعرفون أنه كان في شقتي لمدة ثلاثة أو أربعة أيام. وسيخمنون أنه أبلغني عن خططهم.

ماذا يجب على أن أفعل؟ حسن، أستطيع التوجه إلى الشرطة فى الحال وأحكى لهم القصة. لكنهم سيرتابون إذا أخبرتهم عن موت سكودر.

فكرت:

- سيظنون أنى قتلته، وقد يلوموننى على موته.

فكرت فى الأمر فترة طويلة، وأخذت أخطط. لم أكن أعرف سكودر جيداً لكنى أحببته. وكنت أحب المغامرة أيضاً، وأريد أن أواصل عمله.

وفكرت:

- هل أكتب لرئيس الوزراء؟ أم لوزارة الخارجية؟ لكن لعل ذلك ليس من الضرورى. سوف أختفى لمدة أسابيع قليلة. ثم أعود إلى لندن وألجأ إلى الشرطة بعدها.

اتجهت إلى جثة سكودر ورفعت عنه الغطاء. لقد رأيته يكتب فى مفكرة صغيرة، فبحثت فى جيوبه. لكن المفكرة قد اختفت، ولم يترك أية أوراق على الإطلاق.

وفتحت مكتبى وأخرجت خريطة بريطانيا. وفكرت أن سكتلندا هى أفضل مكان لخطتى. لقد ولدت هناك ولا أزال أتكلم

مثل أى اسكتلندى. وفى روديسيا تعلمت أيضاً اللغة الألمانية بشكل جيد، ففكرت فى الذهاب إلى ألمانيا. لكن ربما اسكتلندا كانت فكرة أفضل.

واخترت جالواى التى كانت منطقة قفر من الريف. وكان يوجد بها قليل من المدن الكبيرة، وليست شاسعة البعد بالنسبة للسفر إليها. وكنت أعرف أن هناك قطارا إلى اسكتلندا فى الصباح. كان يترك لندن فى السابعة وعشر دقائق،. لكن كيف لى أن أخرج من الشقة؟ لن أستطيع الهرب إذا كان أعداء سكودر خارج المبنى.

وفجأة سنحت لى فكرة مدهشة. كان بائع اللبن يأتى بحصتى كل صباح فى السادسة والنصف. وكان شاباً فى نفس حجمى. كان له شارب قصير أسود ويرتدى قبعة ومعطفاً أبيضين.كانت فكرتى أن أقترض ملابسه ووعاء اللبن المعدنى. وبذلك أستطيع الهروب من المبنى كبائع لبن.

وبعدها ذهبت للنوم ونمت عدداً من الساعات لا بأس بها. وفى الصباح تحممت وقصّرت شاربى بعناية. كان طويلاً وداكناً فقصّرته. وعددت نقودى ووضعت خمسين جنيهاً فى جيبى. .وأثناء استعدادى، تذكرت التبغ. وعندما وضعت أصابعى فى



عندما رأى الجنيه الذهب اتسعت عيناه.

علبة التبغ الكبيرة، شعرت بشئ جامد تحت التبغ. وكانت مفكرة سكودر السوداء الصغيرة، فوضعتها فى جيبى.

كانت فألاً طيباً، حسب اعتقادى، لقد أخفاها سكودر هناك، ولم يعثر عليها أعداؤه.

أصبحت الساعة السابعة إلا عشرين دقيقة، وتأخر بائع اللبن عن موعده. لكنى سمعت فجأة صوت وعاء اللبن المعدنى على السلالم، ففتحت الباب.

قلت:

- تعال من فضلك. أريد أن أتحدث إليك.

فدخل الشقة،وأغلقت الباب، وقلت:

- اسمع، إنك رجل طيب، وأريد منك خدمة.

وأخرجت جنيهاً ذهبياً من جيبى وأردفت قائلاً:

- إذا وافقت، فسأعطيك هذا.عندما رأى الجنيه الذهب اتسعت عيناه.

وسأل:

- ماذا تريدنى أن أفعل؟

قلت:

- أريد أن أقترض ملابسك ووعاء اللبن لبضع دقائق.

فضحك وقال:

- لماذا تريد ذلك؟

- حسن، لقد تذكرت شيئاً، لكنى لا أستطيع أن أشرحه الآن. دعنى أقترض ذلك،وسأعود فى خلال عشر دقائق. ووضعت الجنيه الذهب فى يده.

فقال:

- عظيم،وأنا أحب بعض الفرفشة أيضاً.

ارتديت الملابس وخرجنا من الشقة. وأغلقت الباب خلفى.

وقلت:

- لا تتبعنى، وسأعود حالاً.

نزلت السلالم وخرجت للشارع ،وعملت ضجةً بوعاء اللبن، وشرعت فى الغناء. فنظر إلى الرجل الواقف خارج المبنى، لكنه لم يقل شيئاً. ونظرت إلى المنزل المقابل فلاحظت الوجه عند النافذة مرة أخرى. وعند أول شارع متقاطع استدرت وبدأت

أجرى. ثم خلعت ملابس بائع اللبن وألقيت بها مع وعاء اللبن من فوق الجدار.

وعندما وصلت إلى محطة السكة الحديد، كانت الساعة السابعة وعشر دقائق. وكان القطار يتحرك بالفعل ببطء من المحطة، ولم يكن لدى وقت لشراء تذكرة. فركضت وأمسكت بالباب، وفتحته وتسلقت داخل القطار.

وجاء محصّل التذاكر على الفور. وكان غاضباً منى، فما كان منى إلا أن اختلقت بعض الأعذار. لكنه قبلها على مضض وكتب لى تذكرة إلى نيوتون - ستيوارت فى جالواى.

* * *

٣. مدير الفندق

قضيت النهار كله فى السفر إلى الشمال. وقف القطار فى محطة ليدز حيث اشتريت وجبة طعام وصحيفة الصباح. وجاء محصل تذاكر آخر وأبلغنى أن أغيّر القطار عند دومفريز.

قرأت الصحيفة، لكن لم يكن يوجد بها شئ عن موت سكودر بالطبع، فالوقت لا يزال مبكراً على ذلك. ثم أخرجت مفكرة سكودر الصغيرة. كانت مملوءة بالأرقام لكن كان فيها أيضاً بعض أسماء غريبة. ولاحظت كلمات مثل «هوفجارد»، «لونيفيل»، «افوكادو»، و«بافيا»، وظهرت الكلمة الأخيرة عدة مرات.

كانت من الواضح نوعاً من الشفرة، وكنت دائماً مغرماً بالشفرات. وأخذت أتفحصها بعناية. لقد كتب سكودر أعداداً بدلاً



اسرع يا سيدي

من الحروف. لكن ما معنى الأسماء؟ أعرف أن بعضها أسماء مدن. لكن هل كان يستعملها بدلاً من أسماء الناس؟ يوجد عادة كلمة سر في شفرات كهذه، وحاولت أن أخمنها. لم تكن «هوفجارد» هي كلمة السر، لأنها لا تتناسب مع بقية الشفرة. وحاولت الكلمات الأخرى أيضاً لكنها لم تتناسب أيضاً.

ونمت لمدة ساعة أوساعتين، ثم أيقظني صوت محصل التذاكر:

- أسرع ياسيدى. المفروض أن تغيّر القطار هنا.

طللت من النافذة. كنا عند دومفريز ولقد توقف القطار. فنزلت وعبرت المحطة إلى قطار جالواى.

كان القطار ممتلئاً تماماً، ودارت محادثة مسلية بيني وبين أحد الفلاحين الذى اعتقد أنني فلاح أيضاً! تحدثنا عن الماشية والمحاصيل والأسعار. ونزل كثير من الناس في محطات مختلفة، لكنني استمريت. وفي الساعة الخامسة توقف القطار في بلدة صغيرة لاتمثلئ جداً. لا أستطيع تذكرّ اسمها، لكنها كانت هادئة، وكانت بعيدة عن لندن.

نزلت وأخذ طفل تذكرتي. كان مساءً جميلاً جعلني أشعر بالسعادة. تبعت الطريق لمسافة ميل، ربما، ثم مشيت في ممر

على طول الوادى. ولم أمش كثيراً حتى وصلت إلى كوخ. وكانت تقف بباب الكوخ سيدة، فتحدثت معها. وأجابت علىّ بأدب جم، وقلت:

- هل يمكن أن أقيم الليلة هنا؟

فأجابت:

- أهلاً بك، تفضل.

وبسرعة غريبة وضعت أمامى وجبة رائعة، وشربت عدة أكواب من الحليب الحلو الدسم.

وعندما حل الظلام عاد زوجها للبيت. كان رجلاً ضخماً له شارب أسود كثيف. وتحدثنا بأدب لساعة أو يزيد، ودخّن بعضاً من تبغى. ولم يسألانى أية أسئلة لكنهما ظنّا على ما أعتقد أنى مزارع.

وفى الصباح استمتعت بإفطار كبير. لكن عندما قدمت نصف جنيه ذهب للسيدة، لم ترد أن تأخذه. وكان يوماً دافئاً، لذلك أعطتنى علبة حليب صغيرة لآخذها معى. وكانت الساعة التاسعة عندما غادرت الكوخ.

ومشيت بضعة أيام إلى الجنوب لأنى أردت أن أعود إلى السكة الحديد. ولكنى لم أستطع أن أعود بالطبع لنفس المحطة



وتحدثنا بأدب لساعة او يزيد، ونخن بعضا من تبغي.

الصغيرة. فرجال السكة الحديد والطفل سيتعرفون على إذا شاهدونى ثانية، وعندئذ سيتذكرونى.

لذلك اتجهت إلى المحطة التالية وفى طريقى إلى هناك رسمت خطة. وكانت أثمن طريقة أن أعود إلى دومفرير. فالشرطة قد تكون بدأت البحث عنى وسأكون أكثر أمناً فى بلدة كبيرة.

وعندما وصلت المحطة، اشتريت تذكرة إلى دومفريز.

ولم أنتظر طويلاً حتى جاء القطار. وركبت مع رجل مسن وكلبه، وغط الرجل فى النوم فوراً. فاقترضت صحيفته الصباحية التى كانت ملقاة بجانبه.

كانت قصة جريمة القتل فى الصفحة الأولى. حروف كبيرة تقول:

«جريمة قتل فى شقة بلندن»

لقد انتظرنى بائع اللبن لمدة نصف ساعة. ثم اتصل بالشرطة. ودخلوا شقتى ووجدوا جثة سكودر. وتم القبض على بائع اللبن وأخذوه إلى السجن! وشعرت بأسف شديد من أجل الرجل المسكين..

واستمرت القصة على الصفحة الخلفية. وكان آخر خبر أن بائع اللبن قد أطلق سراحه. وكانت الشرطة تبحث حالياً عن رجل يدعى ريتشسارد هاناى! ويعتقدون أنه قد هرب بالقطار، ورحل إلى اسكتلندا.

كنت سعيداً أن بائع اللبن قد أطلق سراحه. إنه لا يعرف شيئاً عن جريمة القتل، ولقد أعطيته جنيهاً ذهبياً واحداً فقط. ولقد قبض عليه وأرسل إلى سجن من أجل ذلك!

توقف القطار عند محطة تعرفت عليها. إنه نفس المكان الذى نزلت فيه الليلة السابقة. لقد وصل قطار آخر لتوه من دومفريز، ونزل منه ثلاثة رجال. كانوا يتحدثون مع رجال السكة الحديد والطفل. فراقبتهم بعناية. كان الطفل يشير إلى الطريق الذى قد سلكته.

وأقلع القطار ثانية. وأثناء تحركه من المحطة، غطيت وجهى بالصحيفة. وقد قطع ميلاً تقريباً عندما توقف ثانية فجأة. ولم نكن فى المحطة، بل كان القطار بالقرب من جسر فوق نهر.

وكانت هذه فرصتى وغيرت خطتى على الفور. ففتحت الباب وقفزت. كانت فكرة جيدة لولا أنى نسيت الكلب. فعندما

قفزت، حاول الكلب أن يتبعنى. واستيقظ الرجل الشيخ واندفع للباب، وصاح:

- النجدة! النجدة!

فركضت نازلاً إلى ضفة النهر واختفيت بين الشجيرات هناك. وقد جاء محصل التذاكر وعديد من الناس ورائى وكانوا يقفون فى العراء. وأخذ رجل يشير إلى ضفة النهر.

لكن فرصة حظ أنقذتنى. لم ألحظ أن الكلب كان مقيداً بالرجل فبعدما قفزت فجأة قفز الكلب وجر الرجل المسن معه أيضاً. وتدحرجا إلى الضفة، ونسينى الجميع لبرهة.. وتم إنقاذ الرجل المسن، لكن فى حالة الإثارة هذه عض الكلب أحدهم. فأخذت فرصتى وهربت بين الشجيرات.

وعندما تطلعت خلفى، كانت حالة الفوضى قد انتهت. وصعد الناس إلى القطار ثانية ،وبدأ يتحرك على الفور.

ومشيت على طول ضفة النهر وفكرت فى مشكلتى. كنت فى أمان لكنى كنت خائفاً أيضاً. لا أقصد أنى كنت خائفاً من الشرطة، كنتُ أفكر في أعداء سكودر وخططهم التى أعرفها. شعرت يقيناً أنهم يحاولون قتلى أو الزج بى فى السجن. كانوا خطراً علي، ولا أستطيع أن أخفى فزعى. فمشاكلى لم تنته بعد.

تسلقت مبتعداً عن النهر حتى وصلت إلى قمة تل. كانت هناك تلال أخرى من حولى، وكنت أستطيع أن أرى بوضوح لعدة أميال. كانت هناك محطة السكة الحديد وكوخ أو اثنان. وكان الغبار يتصاعد تجاه الشرق وذلك يعنى وجود طريق. ثم تطلعت إلى أعلى فى السماء الزرقاء، وكاد قلبى يتوقف عن النبض.

كانت طائرة صغيرة تطير فى اتجاهى. وعلمت على الفور أن أعداء سكودر كانوا فى تلك الطائرة. لم تستخدم الشرطة البريطانية أبداً طائرة للبحث عن الناس.

وتدحرجت خلف صخرة وأخذت أراقب الطائرة. وطارت فى طول ضفة النهر فى دوائر ضيقة. كانت منخفضة للغاية لدرجة أنى استطعت أن أرى قائدها. لكنى كنت متأكداً أنه لم يرنى. ثم تسلقت فعادت وطارت فوق النهر مرة أخرى وعادت إلى الجنوب.

وقررت فى الحال أن أغادر تلك التلال. ولا يوجد مكان لأختبىء فيه. وسيجدنى الأعداء فى الحال إذا تطلعوا على من السماء.



انك صغير على أن تكون مدير فندق، أليس كذلك؟

وفى الساعة السادسة وصلت الطريق. فتبعته لعدة أميال. وبدأ الظلام يقترب عندما جئت إلى منزل بجانب جسر. واندهشت أن أجد منزلاً واحداً قائماً وحيداً فى هذه الأرض الموحشة. وكان شاباً واقفاً على الجسر يقرأ، فقال:

ـ مساء الخير، إنها أمسية جميلة، أليس كذلك؟

فأجبت:

ـ نعم، فعلاً، هل هذا المنزل فندق؟

ـ نعم يا سيدى، وأنا مدير الفندق. هل تحب النزول هنا الليلة؟

ـ إنك صغير على أن تكون مدير فندق، أليس كذلك؟

ـ فعلا، لقد توفى والدى العام الماضى وترك لى هذا الفندق. وأنا أعيش هنا مع أمى، لكنى لا أحب العمل على الإطلاق. أود لو أنى أكتب قصصاً، لكن عن ماذا أكتب؟ فأنا لا أقابل كثيراً من الناس المهمّين.

وفجأة خطرت لى فكرة أن هذا الشاب يمكن أن يساعدنى، فقلت:

ـ سأروى لك قصة، وهى قصة حقيقية أيضاً. إنى فى حاجة لصديق. وسأروى لك هذه القصة لكى أحصل على مساعدتك.

وسأعطيك الإذن بنشرها، لكن لا تفعل أى شئ قبل الخامس عشر من يونيو. فذلك تاريخ هام جداً.

ثم جلست على الجسر ورويت له القصة. وانصت باهتمام، وكانت عيناه تلمعان من الإثارة.

قلت:

- أنا مزارع من روديسيا، وجئت لبريطانيا منذ بضعة أسابيع. وسافرت بالباخرة من غرب إفريقيا الألمانية. وأعتقد الألمان هناك أنى جاسوس. وتبعونى طول الطريق إلى بريطانيا. ولقد قتلوا بالفعل أفضل صديق لى، والآن يحاولون قتلى. هل قرأت صحف اليوم.

فأومأ.

- إذن، تعلم عن جريمة قتل فرانكلين سكودر.

فأومأ الشاب ثانية، واتسعت عيناه.

- كان أعز أصدقائى، ولقد قتل فى شقتى.

وقلت له أن سكودر كان يعمل لوزارة الخارجية. وشرحت أنه كان يعرف بعض أسرار الأمان. كانت قصة طويلة ،وقمت بإضافة بعض المشوّقات.



كانت تطير منخفضة فى اتجاه الجسر.

وفى النهاية قلت:

- إنك تبحث عن مغامرة، أليس كذلك؟ حسن لقد عثرت عليها الآن. وهؤلاء الجواسيس الألمان قد يأتون إلى هنا، وأريد أن أختبىء منهم.

فأخذ ذراعى بأدب وسحبنى تجاه الفندق،وقال:

- ستكون فى أمان هنا يا سيدى. لابد أن تروى لى مغامراتك أيضاً، وسأكتبها كلها.

- وهو كذلك. لكنى لدى بعض العمل لابد أن أقوم به أولاً. لقد أعطانى سكودر رسالة مطولة بالشفرة. ويجب أن أحل رموزها واكتشف معناها.

وأثناء ذهابنا إلى الفندق، سمعت الطائرة مرة أخرى. كانت تطير منخفضة فى اتجاه الجسر.

حصلت على حجرة هادئة فى خلف المنزل. وكانت أم مدير الفندق تحضر لى وجباتى.. وناسبنى المكان جداً.

وفى الصباح التالى أخرجت مفكرة سكودر وبدأت العمل. كانت الشفرة فى غاية الصعوبة،وكان على أن أحاول الكثير من كلمات السر الممكنة. وعلى الظهر كنت قد عثرت على المسافات بين الكلمات لكنى لم أستطع اكتشاف الحروف.

وبعد الغداء حاولت ثانية واشتغلت باجتهاد حتى الساعة الثالثة. ثم فجأة سنحت لى فكرة. كنت مضطجعاً فى كرسى عندما جاء اسم سيدة لرأسى. وكانت چوليا زينشينى. لقد قال سكودر إنها كانت واحدة من ألد أعدائه. ربما كان اسمها هو كلمة السر. وحاولته بسرعة على الشفرة ونجح.

«چوليا» تتكون من خمسة حروف، ولقد استخدم سكودر هذه الحروف بدلاً من الحروف المتحركة. وحرف الـ چـ هوالحرف العاشر فى اللغة الإنجليزية ،وهكذا استخدم الرقم ١٠ بدلاً من أ... وهكذا.

والاسم «زينشينى» أعطانى أرقاماً أخرى، وبعدها استطعت قراءة مفكرة سكودر فى الحال. وجلست فى حجرتى أعمل فى صمت لبقية النهار.

وكانت الحقائق فى مفكرة سكودر الصغيرة فظيعة. وعندما أحضرت السيدة الشاى لى، كنت إنساناً عصبياً جداً. وكان وجهى يبدو شاحباً ولم أرد أن أتناول شيئاً.

فسألت:

ـ هل أنت بخير يا سيدى؟ تبدو شاحباً جداً.

قلت:

- أوه، هذا لا شئ. من فضلك ضعى الأشياء على المنضدة.

كانت توجد ضجة مفاجئة خارج الفندق، وغادرت السيدة الحجرة. وسمعت سيارة تقف ثم عدة أصوات خافتة.

واندفع مدير الفندق بعد دقائق إلى حجرتى، وقال:

- لقد وصل رجلان وهما يبحثان عنك. لقد وصفاك لى جيداً.

-وماذا قلت لهما؟

- قلت لهما إنك نزلت هنا ليلة أمس وإنك غادرت مبكراً هذا الصباح.

- هل يمكنك وصفهما؟

- واحد منهما رجل نحيل له عينان داكنتان، والثانى سمين بعض الشئ.

- هل يتكلمان مثل الإنجليز؟

فأومأ قائلاً:

- أوه نعم، أعتقد ذلك.

فالتقطت قصاصة ورق وكتبت بسرعة باللغة الألمانية:

«... الحجر الأسود. لقد سمع سكودر عن هذا، لكنه لم يستطع عمل أى شئ حتى الخامس عشر من يونيو. خطط كاروليديس غير أكيده، وقد لا أستطيع المساعدة. لكن إذا مستر (ت) ينصح بذلك، فسأحاول...».

وعندما كتبت الرسالة، مزقت طرف الورقة. وأصبحت كأنها رسالة ممزقة وقلت:

- اعط هذه لهما، قل لهما إنك وجدتها فى حجرتى.

وبعد ثلاث دقائق أخذ الرجلان السيارة ورحلا. وظهر مدير الفندق فى نشوة عظيمة، وقال:

- لقد وقعت عليهما ورقتك وقع المفاجأة. تحول الرجل الأسمر إلى اللون الشاحب، وبدا على الرجل السمين الغضب الشديد. ودفعا ثمن مشروباتهما ورحلا فى الحال.

قلت:

- أريدك الآن أن تفعل شيئاً لى. خذ دراجتك واذهب بها إلى الشرطة فى نيوتون - ستيوارت. صف الرجلين وتحدث عن جريمة لندن. ويمكنك اختلاق الأسباب. يمكنك أن تقول أنك



وبدا على الرجل السمين الغضب الشديد

سمعت حواراً بينهما. واحد منهما قال للآخر بأنه قد خرج لتوه من السجن. وقل أيضاً إنك سمعت اسم سكودر. فالصيد لم ينته بعد. فهذان الرجلان سيعودان صباح الغد، ولابد من وجود الشرطة هنا للقبض عليهما.

وانصرف في الحال. وواصلت أنا عملي في مفكرة سكودر. وكانت الساعة السادسة عندما عاد، فقال:

ـ كل شيء على أحسن ما يكون.رجال الشرطة سيكونون هنا في الساعة الثامنة صباحاً.

وتناولنا الطعام سوياً، وكان على أن أروى له مغامراتي مرة أخرى، وأخذ بها ملاحظات خلال العشاء. لم أستطع النوم تلك الليلة. أنهيت مفكرة سكودر ثم جلست متيقظاً في كرسيّ الوثير حتى الصباح. كنت أفكر في قصة سكودر الفظيعة.

وفي الساعة الثامنة صباحاً وصل ثلاثة من رجال الشرطة إلى الفندق. وقابلهم مدير الفندق وذهب بهم إلى الجراج. وتركوا سيارتهم هناك ثم جاءوا داخل الفندق.

وبعد عشرين دقيقة ظهرت سيارة أخرى ووقفت على بعد مائتى ياردة من الفندق. كنت أراقب من النافذة فوق الباب

الأمامى. سارت السيارة إلى أن وصلت تحت بعض الأشجار. ونزل رجلان منها وسارا نحوالفندق.

لم تكن الخطة التى رسمتها من الخطط الجيدة. كنت أتعشم أن يقف رجال الشرطة على الرجال. وإذا فعلوا ذلك، فسوف أكون سعيداً تماماً.

لكن الآن أصبحت لدى فكرة أفضل. فكتبت ملاحظة لمدير الفندق وتركتها فى حجرتى. ثم فتحت نافذتى وتسللت منها بهدوء إلى بعض الشجيرات فى الحديقة. وركضت عبر الحديقة ثم على طول طرف الحقل. وبعد بضع دقائق وصلت للأشجار.

ولم أضيّع لحظة واحدة. كانت السيارة تقف هناك، فقفزت داخلها. وشغّلت الموتور وانطلقت.

وحمل الريح ضجة الأصوات الغاضبة إلى أذنى. لكنى، على الفور، كنت أقود السيارة على طول ذلك الطريق بسرعة خمسين ميلاً فى الساعة.

* * *

٤. المغامرة مع سير هارى

كان صباحاً جميلاً، لكنى لم أكن أفكر فى الطقس الجميل أو المناظر التى من حولى. كانت أفكارى كلها منصبّة على سكودر وملاحظاته..

لقد كذب علي الرجل. لقد تكلم كثيراً عن كاروليديس،وكان جزء منه حقيقياً. لكنه لم يخبرنى بالأشياء الهامة. ولا ألوم سكودر فى عدم إخبارى بالأسرار الحقيقية. ربما كان خائفاً أن يخبر أى أحد. بالطبع كان كاروليديس فى خطر، لكن الخطر على أوروبا كلها كان أعظم! كان هذا هو السر الحقيقى الذى قد أخفاه سكودر فى مفكرته الصغيرة.

ظهرت الكلمات «درجات السلم التسع وثلاثون» عدة مرات فى مذكراته.

أخذت أحسبها بدقة. كما خرجت بهذه الجملة: المد العالى هناك فى العاشرة وسبع عشر دقيقة.

وأخذت أتساءل عن معنى ذلك. لابد أن «السلالم التسع وثلاثون» موجودة فى مكان على الساحل. فكلمة «مد» تثبت ذلك، لكن لماذا كانت مهمة؟

لقد كتب سكودر أن الحرب أكيدة ولا أحد يستطيع أن يوقفها. وأن خطط الأمان جاهزة من فبراير ١٩١٢. قد يقتلون كاروليديس فى الخامس عشر من يونيو، ويكون موته حجتهم. وكتب:

- سيتحدث الأمان عن السلام فى أوروبا، لكنهم لا يريدون السلام. إنهم مستعدون للحرب وسوف يهاجموننا فجأة.

ولقد كتب سكودر أيضاً عن زيارة ضابط فرنسى كبير بلندن. كان رئيس الجيش الفرنسى وكان سيأتى فى الخامس عشر من يونيو.

- سيبلغ هذا الضابط بالخطط البريطانية وسيعود إلى فرنسا.

ولقد أضاف سكودر إن الحجر الأسود سيكون أيضاً فى لندن فى ذلك اليوم. سوف يعرفون الخطط أيضاً وسيبعثو بها فوراً إلى ألمانيا.

وقدت السيارة عبر قرى جالواى الجميلة. كانت منطقة جميلة من اسكتلندا. لكنى لم أستطع الاستمتاع بالسلام المحيط بى فى كل مكان.

كان علىّ أن أهرب من أعدائى وأظل على قيد الحياة. كما كان علىّ أن أنتظر حتى تسنح الفرصة لمساعدة سكودر. لكن الأمر سيكون صعباً جداً. فالشرطة و«الحجر الأسود» كانوا يقتفون أثرى، وليس لى أصدقاء فى اسكتلندا.

وعند الظهر جئت إلى قرية كبيرة. وكنت جائعاً فقررت الوقوف. ثم لاحظت رجل شرطة. كان واقفاً خارج مكتب البريد يقرأ برقية.

عندما رأى سيارتى، رفع يده وركض إلى وسط الطريق، وصاح:

ـ قف! قف!

وأصبحت فجأة مرتاباً، وعرفت أن البرقية كانت بخصوصى. لقد حدث أمر ما فى الفندق، وربما قد اتفقت الشرطة مع الجواسيس. لقد وصفونى ووضعوا السيارة، وأرسلت الشرطة برقيات لجميع القرى.



فضربته بشدة حتى أنه سقط للخلف.

لم أقف، فمد الشرطي يده وركض بجانب السيارة ،وأمسك بذراعي عبر النافذة، التي كانت مفتوحة. فضربته بشدة حتى أنه سقط للخلف.

وانطلقت بالسيارة إلى الريف مرة أخرى، سالكاً الطريق الضيق. وتسلقت تلالاً عديدة فوق وادي عريض. كنت مرهقاً وجائعاً فبدأت أبحث عن فندق هادىء حيث أستطيع أن أحصل على قسط من الراحة. لكن فجأة انبعثت ضجة من فوقي فنظرت إلى أعلى. كانت الطائرة على بعد بضعة أميال، تطير في اتجاهي.

وانطلقت نازلاً التل بين الأشجار والأدغال المرتفعة. وخرجت سيارة من طريق ضيق جانبي ،ولم أستطع الوقوف. فسحبت عجلة القيادة جهة اليمين بشدة وأغلقت عيني.

اندفعت سيارتي وسط الشجيرات وبدأت تسقط. ورأيت قاع الوادي على بعد خمسين قدماً. فقفزت من السيارة، وتدحرجت في دغل صغير. وسمعت ضجة فظيعة حيث إن السيارة انقلبت عدة مرات. ثم تمددت مثل كوم من الخردة القديمة في قاع الوادي.

أخذ شخص ما يدى وسحبنى من الدغل. وقال صوت رحيم:

- هل أصبت بأى أذى؟

وكان شاباً طويلاً واقفاً بجانبى، فقال:

- أنا آسف جداً لما حدث، رأيت سيارتك لكن لم يستطع أى منا الوقوف فى الوقت المناسب. أتعشم أن تكون على ما يرام. لكنك شاحب الوجه.

كنت سعيداً بالحدث رغم الفزع. فالشرطة كانت تبحث عن السيارة، كذلك كنت لن أستطيع الترحال بها طويلاً.

قلت:

- إنها غلطتى ياسيدى. ما كان يجب على أن أقود بسرعة فى هذه الطرق الضيقة. حسن، تلك السيارة لن تستخدم ثانية مطلقاً. هذه هى نهـاية عطلتى الاسكتلندية، لكن يجب على أن أكـون سعيداً. لقد كدت أن أفقد حياتى.

فقال للمرة الثانية:

- إنى فى غاية الأسف فعلاً.

ونظر إلى ساعته واستمر قائلاً:

- هناك وقت لنذهب إلى منزلي. يمكنك تغيير ملابسك، وتأكل شيئاً هناك. أين حقيبتك؟ هل هي تحت في السيارة؟

- لا. كل حاجياتي في فندق على بعد أربعين ميلاً.

كنت أتساءل ترى ماذا أقول له عن نفسي. لم أكن أريد أن أقول أنني روديسي. قاسمي قد ظهر في الصحف. والشرطة تعرف أنني جئت من روديسيا. وربما هذا الرجل يخمن الحقيقة إذا قلت أي شئ عن روديسيا. لذلك قررت أن أكون أستراليا. قد قرأت كثيراً عن استراليا. ولابد أنني أقدر على الكلام عن هذا البلد إذا سألني أي أسئلة ولن يكتشف الحقيقة أبداً.

وأردفت قائلاً:

- أنا استرالي ولا أحمل مطلقاً كثيراً من الملابس معي.

فصاح:

- استرالي. حسن، أنا أسعد رجل في اسكتلندا!

إنك توافق على التجارة الحرة طبعاً.

فأجبت بسرعة:

- أوافق.

لكنى لم أكن متأكداً ماذا يقصد، فقال وهو يأخذ بذراعى ويسحبنى نحو سيارته:

- شئ جميل.. التجارة الحرة هى أفضل شئ لبريطانيا. حسن، ستستطيع مساعدتى هذا المساء.

وبعد ثلاث دقائق وصلنا المنزل. فأخرج ثلاث أو أربع من بذلاته وبسطهم على السرير فاخترت بذلة زرقاء داكنة ولبستها واقترحت أيضاً أحد قمصانه، ثم أخذنى إلى المطبخ.

كانت على مائدة المطبخ بعض المأكولات، فقال:

- إذا لم نسرع، فسوف نتأخر.. كل شيئاً الآن وخذ معك بعض الطعام. وعندما نعود الليلة، سوف نتناول وجبة طيبة. علينا أن نكون فى برانتبورن على الساعة السابعة.

أكلت بعضاً من اللحمة الباردة وشربت فنجاناً من القهوة. ووقف الشاب بجوار المدفأة وأخذ يتكلم:

- لقد جئت فى الوقت المناسب يا مستر... أوه، معذرة. إنك لم تخبرنى باسمك.

قلت:

- تويسدون.

- آه، تويسدون. حسن، أنا فى مأزق، يا مستر تويسدون، وأود لو أن تساعدنى. يوجد اجتماع عام الليلة فى برانتلبورن، وعلىّ أن ألقى خطبة عن السياسة. وأنا المرشح الليبرالى عن المنطقة جالواى، وبرانتلبورن هى بلدتى الرئيسية. حسن، لقد أعددت كل شئ من أجل الاجتماع، وكروملتن رئيس الوزراء الليبرالى القديم كان سيلقى الخطبة الرئيسية. لكنى استلمت برقية منه بعد ظهر اليوم يقول فيها أنه مريض ولا يستطيع الحضور. ذلك يعنى أنى لابد أن ألقى الخطبة الرئيسية بنفسى.

قلت:

- حسن، إنك أنت المرشح، فلابد أنك قادر على إلقاء الخطبة.

- أوه، أستطيع أن ألقى خطبة قصيرة بشكل جيد، لكن عشر دقائق تكفى تماماً بالنسبة لى. والآن، تويسدون أرجو أن تساعدنى. يمكنك أن تقول لهم كل شئ عن التجارة الحرة وعن أستراليا.

لم أكن أعرف أى شئ عن التجارة الحرة، لكنى كنت أحتاج لمن يساعدنى أنا أيضاً. وربما كانت هذه هى الفرصة.

قلت:

- وهو كذلك. أنا لست خطيباً مفوهاً ولكن سأتكلم مع أصدقائك عن أستراليا.

وتركنا المنزل وانطلقنا في اتجاه براتلبورن. وفي الطريق أخبرني الشاب بعض أشياء عن نفسه. وكانت إحدى هذه الحقائق مفيدة جداً.. فوالده ووالدته قد توفيا. وهو يعيش عادة مع عمه، الذي كان السكرتير الأول لوزارة الخارجية.

كان هذا خبراً مثيراً لأن السكرتير الأول يعتبر رجلاً هاماً.

وكنت أريد مقابلته. فتمنيت أن يستطيع هذا الشاب أن يفعل شيئاً من أجلي.

وقاد السيارة عبر بلدة صغيرة حيث أوقف السيارة رجلان من الشرطة. وسلطا مصباحيهما على وجهينا، وشعرت بالاضطراب للغاية. كنت أخشى أن يقبضا علي.

قال أحد الضابطين:

- أنا آسف، سير هاري. إننا نبحث عن سيارة مسروقة واعتقدناها هذه.

قال سير هارى ضاحكاً:

- أوه، لا يهم.. لا يهم. إن سيارتى عتيقة لا تشجع أحداً أن يسرقها.

وواصلنا المسير.

كانت الساعة السابعة إلا خمس دقائق عندما بلغنا برانتلبورن. وأوقف سير هارى السيارة خارج مجلس المدينة، ودخلنا. وكان يوجد حوالى خمسمائة شخص فى المجلس.

وقف أحد السادة وألقى خطبة قصيرة. وشرح أن مستر كروبلتون كان مريضاً ولا يستطيع الحضور.

واستمر قائلاً:

- لكننا محظوظون فى برتلبورن هذه الأمسية. يوجد معنا هنا متحدث عام شهير من أستراليا. لكننا سنستمع أولاً للمرشح الليبرالى عن برانتلبورن.

بدأ عندئذ سير هارى كلمته. وكان معه فى يده حوالى خمسين صفحة من المذكرات وشرع يقرأ منها. وكانت خطبة فظيعة، وشعرت بأسف شديد من أجله. وأحياناً كان يرفع بصره عن الورق، ثم لا يستطيع أن يقول شيئاً. ونسى أكثر من مرة

موضوع الحديث لكن تذكر بضعة جمل من كتاب. وكررها مثل طالب المدرسة. وكانت أفكاره خاطئة تماماً. تكلم عن الخطر الألماني وكدت أن أضحك عالياً.

قال:

ـ لا يوجد خطر ألماني على الإطلاق. لقد اخترعته الحكومة. فالألمان يريدون السلام، ونحن لا نريد جيشاً كبيراً. إننا نضيع المال العام على الأسلحة والبوارج الحربية.

وفكرت في مفكرة سكودرالسوداء الصغيرة! كانت خطط الألمان الحربية جاهزة وهم ليسوا مهتمين بالسلام.

وتحدثت بعد سير هارى وتكلمت عن أستراليا.

وصفت البلد وسياساتها وخططها وعمل الحكومة الليبرالية. وأنصت الناس بأدب وكانوا يحيونني أحياناً بالتصفيق. لكني نسيت كل شئ عن التجارة الحرة!

وتم شكر المتحدثين في نهاية الاجتماع. وعدنا أنا وسير هارى إلى السيارة وخرجنا من براتلبورن.

قال:



وكانت خطبة فظيعة ، وشعرت بأسف شديد من أجله

ـ كانت خطبتك رائعة يا تويسدون، واستمتعوا بها. هل سمعتهم وهم يهللون عندما قلت كلمة «ليبرالى»؟ وشرحتها بأنه التحرى المؤيد للنظم الديمقراطية والإصلاحات الاجتماعية. والآن سوف نعود للبيت ويمكننا أن نتناول وجبة شهية. أريدك أن تبقى فى بيتى الليلة. وبعد العشاء فى تلك الليلة جلسنا بجانب النار وتحدثنا.

قلت:

ـ اسمع يا سيرهارى، أريد أن أقول لك شيئاً وهو هام جداً. إنك رجل طيب، ولذلك لن أخفى أى شئ عنك. لقد كانت خطبتك كلها خطأ.

فنظر فى إندهاش شديد، وقال:

ـ خطأ؟ تقصد بخصوص الخطر الألمانى؟ هل تظن أنهم سيهاجموننا؟

قلت:

ـ قد يهاجموننا الشهر القادم. والآن استمع لهذه القصة منذ بضعة أيام قتل جاسوس ألمانى أحد الأصدقاء فى لندن...

ما زلت أذكر ضوء النار الساطع فى حجرة سيرهارى. اضطجعت على الكرسى الكبير وأخبرته بكل شئ. وكررت كل

مـذكرات سكودر بل تذكرت أيضاً مـوضـوع السلالم التسع والثلاثون والمد. ووصفت مغامراتى عم بائع اللبن والشرطة فى الفندق.

ثم قلت:

ـ الشرطة تحـاول القبض على بسبب جـريمة القتل. لكنى أستطيع أن أثبت أننى لم أقتل سكودر. والحقيقة أننى خائف من هؤلاء الجواسيس الألمان. إنهم أبرع وأكثرحكمة من الشرطة. وإذا قبضت على الشرطة، فستقع حادثة. وسأحصل عل سكين فى قلبى، مثل سكودر.

كان سير هارى يتطلع إلى بحذر، وهو يسألنى:

ـ هل أنت رجل عصبى يا مسترهاناى؟

ولم أجب عليـه فى الحـال. ولكنى أخذت سكيناً ثقـيـلاً من الحائط وقمت بأداء حيلة روديسية قديمة له. فألقيت السكين إلى أعلى والتقطتها من الهواء فى فمى، وقلت:

ـ لقد تعلمت القيام بهذه الحيلة منذ سنوات عديدة. لكن أى رجل عصبى لا يستطيع القيام بها.

فابتسم وقال:

- وهو كذلك يا هاناى. لا داعى أن تثبت ذلك. قد لا أعرف الكثير عن السياسة لكنى أستطيع أن أعرف الرجل الشريف. إنى أصدق ما قلت. قل لى ماذا أستطيع أن أفعل لأساعدك..

- حسن، إن عمك هو السكرتير الأول بوزارة الخارجية وسيقدر أن يفعل شيئاً. أريدك أن تكتب رسالة له. اطلب منه إذا أمكن أن أقابله قبل الخامس عشر من يونيو.

- وأى اسم سأقول؟

- تويسدون. من الأسلم أن تنسى اسم هاناى.

وجلس هارى أمام منضدة، وكتب هذه الرسالة:

«عمى العزيز..

لقد أعطيت عنوانك إلى رجل يدعى تويسدون يريد مقابلتك. ويأمل أن يراك قبل الخامس عشر من يونيو. كن كريماً معه، من فضلك، وصدق قصته.

وعندما يأتى، سيقول العبارة «الحجر الأسود». وسيغنى بضعة أسطر من «أنيالورياء.

قال سير هارى:

- حسن، هذا يبدو معقولاً، واسم عمى سير والتر بوليفانت، وبيته قرب أرتنستويل على نهر كينيت. والآن، ماذا بعد؟

قلت:

- هل يمكنك أن تعطينى طقم ملابس قديم؟ وخريطة لجالوى. فالشرطة قد تأتى هنا للبحث على، ويمكنك أن تريهم السيارة فى الوادى. لكن لا تخبرهم أى شئ.

- وإذا جاء الجواسيس، ماذا أقول لهم؟

- قل أنى ذهبت إلى لندن.

وأحضر سيرهارى الملابس وخريطة جالوى. ونظرت إلى الخريطة بعناية ولاحظت خط السكة الحديد المتجه للجنوب.

قال سير هارى، مشيراً للخريطة:

- هذا هوالجزء الموحش من البلد. اذهب فى هذا الطريق ثم اتجه يميناً. يجب أن تصعد تلك التلال قبل الإفطار. ستكون فى أمان هناك لكن يجب أن تسافر للجنوب فى الثانى عشر أو الثالث عشر من يونيو.

وأعطانى دراجة قديمة وفى الساعة الثانية صباحاً غادرت المنزل.

وفى الساعة الخامسة أشرقت الشمس، وكنت قد قطعت حوالى عشرين ميلاً. وكانت التلال المرتفعة والوديان الواسعة الخضراء من حولى من كل جانب.

***

٥. عامل الطريق الذى يرتدى النظارة

ارتحت بعض الوقت فوق قمة أحد التلال. كان الطريق يخترق مسافة مسطحة أمامى ثم يهبط بعد ذلك إلى الوادى. وكان البيت قابعاً بين الحقول فى هذا الوادى، لكن لا توجد علامات أخرى للحياة. كنت متعباً جداً فرقدت وأغلقت عيناى.

كانت الساعة السابعة عندما أيقظنى صوت. إنه صوت الطائرة ثانية. ولم أتحرك. كانت تطير فوق التلال فى دوائر ضيقة. وفى الدقيقة التالية استدارت نحوى، واستطعت أن أرى الطيار والرجل الآخر. وكلا الرجلين كانا ينظران إلى. وشعرت أنهما قدتعرفا على. ثم ارتفعت الطائرة بسرعة، وطارت بعيداً إلى الشرق.

كان لابد أن أهرب من ذلك المكان فوراً. فقد يعود أعدائى وينقبون التلال. لقد رأوا دراجتى بطبيعة الحال، لهذا كان لابد أن ألقى بها.

تركت الطريق وجررت الدراجة حوالى خمسين ياردة. ثم لاحظت حفرة مملوءة بالماء فألقيت الدراجة فيها.

كان اليوم دافئاً صحواً وكنت أرى الطريق المتجه للشرق وللغرب. وكان لا يوجد شئ عليه. لكنى كنت متأكداً أن أعدائى سوف يأتون هابطين إلى ذلك الطريق. لذلك سرت عبر التلال للشمال.

وبعد فترة تطلعت خلفى عبر الوديان على كلا الجانبين. كان نظرى قوياً جداً، فرأيت بعض الرجال عن بعد. كانوا جميعهم قادمين تجاه الأرض المرتفعة.

ركضت للأمام لكنى لم أبتعد كثيراً. وكان هناك مزيد من الرجال فى المقدمة، يبحثون فى الوادى التالى. فكرت:

- لن أستطيع الابتعاد عن هنا. وإذا حاولت الهرب، فسوف يرونى. لذلك يجب أن أظل فى الأرض المرتفعة وأختبىء فى أى مكان.

ركضت على طول قمة التل فوصلت للطريق ثانية. فاتجهت إلى ناصية الطريق وهناك وجدت عامل الطريق.

كانت أدواته ملقاة بجانبه وكان مستعداً للعمل. لكنه كان يتحرك ببطء شديد.

ونظر إلى أعلى عندما اقتربت، وقال:

ـ هذا عمل شاق، ولا أستطيع القيام به اليوم. فأنا أشعر بالإعياء، وهذه هى الحقيقة.

كان وحشى المنظر يرتدى نظارة كبيرة. وكانت عيناه حمراوين.

فسألت، وكنت أعرف الإجابة.

ـ ما الأمر؟ إنك تقوم بهذا العمل كل يوم، أليس كذلك؟ فلماذا لا تستطيع أن تقوم به اليوم؟

فأجاب:

ـ صحيح، لكن ابنتى لا تأتى من لندن كل يوم. لقد جاءت للبيت بالأمس، وأقمنا حفلة الليلة الماضية.

وخلع نظارته ثم استمر:



لقد شربت كثيرا الليلة الماضية وراسى يؤلمنى جدا.

- لقد شربت كثيراً الليلة الماضية ورأسي يؤلمني جداً.

قلت:

- أنا آسف، فالسرير هو أفضل مكان لك حالياً.

- آه، لكن هذا ليس سهلاً. قد حصلت على بطاقة بريدية بالأمس. إن ملاحظ الطرق الجديد سيأتي ليرى هذا العمل اليوم. إذا ذهبت لسريري في البيت، فلن يجدني هنا. وعندئذ سأفقد وظيفتي.

وفجأة خطرت لي فكرة مدهشة، فقلت:

- اسمع، ربما أستطيع أن أساعدك. إذا كنت ما زلت تشعر أنك مخموراً ولاتستطيع العمل، فعليك أن تذهب لفراشك. هل الملاحظ الجديد يعرفك جيداً؟

- لا. إننا لم نتقابل مطلقاً، لكني سمعت عنه. إنه يتنقل بسيارة صغيرة.

فسألت:

- أين منزلك؟

فأشار إلى كوخ في أسفل الوادي بين الحقول.

ـ حسن، عد إلى فراشك ونم فى سلام. سأقوم بعملك اليوم. إذا كان الملاحظ لا يعرفك، فهو لن يعرفنى أنا أيضاً.

تطلع إلى وضحك، ثم قال:

ـ حسن، إنك رجل ظريف جداً. سيكون العمل سهلاً، فلا حاجة لأن تعمل كثيراً.

وأشار إلى كومة من الحجارة ومطرقة، وقال:

ـ لقد كسرت تلك الحجارة بالأمس، ولا حاجة لك أن تكسر أكثر من ذلك. خذ عربية اليد وانزل أسفل الطريق. واستمر حتى تأتى إلى كومة من الصخور. فأت بها إلى هنا بعربية اليد. اسمى الكسندر فيربول لكن أصدقائى يسموننى أبو نظارة. ذلك لأنى أرتدى هذه النظارة. وعندما يأتى الملاحظ، لابد أن تتحدث معه بأدب. وتناديه «بسيدى». سيكون سعيداً تماماً عندئذ.

قلت:

ـ قد يعرف الملاحظ أنك ترتدى نظارة. دعنى اقترضها اليوم.

فضحك ثانية ،وقال:

ـ حسن، حسن، هذه هى حيلة جميلة.

وأعطانى نظارته وقبعته القديمة المتسخة

وخلعت معطفى وأعطيته له، وقلت:

- خذ هذا للبيت معك، واحتفظ به لى.

ثم تركنى.

وبعد عشر دقائق أصبحت مثل عامل طريق. قد عفرت بنطلونى وحذائى بالتراب. كان بنطلون تيرنبول مربوطاً من تحت الركبة، فربطت بنطلونى بنفس الطريقة. هؤلاء الجواسيس الألمان يلاحظون كل شئ وكنت خائفاً من يدى. كان مظهرهما نظيفاً وناعماً نوعاً ما، لذلك دعكتهما بالطين.

ترك تيرنبول طعامه وصحيفة قديمة بجانب الطريق. وكانت الساعة الثامنة وأشعر بالجوع تماماً. لذلك أخذت رغيف الخبز وقطعة الجبن...، وكانت وجبة سريعة كافية.

ثم بدأت عملى الجديد وأخذت أدفع عربة اليد إلى أعلى وأسفل الطريق. وأثناء عملى، تذكرت صديقاً قديماً فى روديسيا. كان رجل شرطة عندما تعرفت عليه. لكنه كان قد مارس أموراً غريبة كثيرة فى حياته. كان غالباً فى خطر وعرف قيمة التنكر الجيد. كان يقول:

ـ لكن التنكر وحده لا يكفي يا هاناي. يجب أن تحاول أن تكون شخصاً آخر ويجب أن تصدق ذلك أنت نفسك. وإذا لم تستطع عمل ذلك، فتنكرك سيفشل.

وهكذا صدقت حالاً أنني كنت عامل الطريق. وأخذت أفكر في حياتي وفي وظيفتي. فأنا أعيش في الكوخ الصغير في الوادي. وابنتي قد عادت للبيت أول أمس ولقد أقمنا حفلة. وشربت كثيراً وما زلت أشعر بعدم التوازن. لكن الملاحظ يريد أن يراني اليوم،وكان يجب أن أنتظره.

وعملت لمدة ساعة أو أكثر وأصبحت متسخاً فعلاً. كانت مهمة كلها غبار. وفجأة جاء صوت من الطريق، فرفعت بصري. قد توقفت سيارة صغيرة وخاطبني رجل في مقتبل العمر:

ـ هل أنت الكسندر تيرنبول؟ أنا ملاحظ الطرق الجديد، ومكتبي في البلدية في نيوتن ـ ستيوارت. الطريق يبدو على ما يرام هنا يا تيرنبول. هناك جزء هش على بعد حوالي ميل، ويجب عليك أن تنظف الأطراف. سأمر هنا ثانية الأسبوع القادم. صباح طيب.

وانصرف بسيارته، وشعرت بسعادة غامرة. لقد نجح تنكري بشكل مقنع.



وسأل: ماذا حدث لأبو نظارة؟

وحوالى الساعة الحادية عشر جاء مزارع يقود بعض الأغنام إلى أسفل الطريق، فتوقف عندما رآنى، وسأل:

- ماذا حدث لأبونظارة؟

فأجبت:

- إنه مريض، إنى أقوم بعمله لبضعة أيام.

وعند الظهر جاءت سيارة هابطة الطريق. ومرت بى ثم وقفت على بعد مائة ياردة. ونزل ثلاثة رجال من السيارة ومشوا ببطء عائدين نحوى.

لقد رأيت اثنين منهم من قبل. إنهما اللذان قد زارا فندق جالواى. واحدمنهما نحيفاً وأسمر والآخر سميناً بعض الشئ. لكنى لم أعرف الرجل الثالث الذى كان أكبر سناً من الآخرين

قال الرجل الثالث:

- صباح الخير. لديك عمل ظريف سهل هنا.

لم أجب فى الحال. أنزلت يدى العربة ووقفت ببطء.

كانوا يتطلعون إلى بدقة،ولم يفت عيونهم شيئاً.

، قلت:

ـ هناك أعمال أسوأ من ذلك، لكن هناك أيضاً ما هو أفضل. إنى أفضل عملكم وأجلس طول اليوم فى تلك السيارة الكبيرة.

تطلع الرجل الذى تكلم إلى صحيفة تيرنبول،وسأل:

ـ هل تحصل على الصحف كل يوم!

ـ نعم، أحصل عليها لكنها متأخرة ثلاثة أو أربعة أيام. فالتقط الصحيفة ونظر إلى التاريخ المدون عليها. ثم وضعها ثانية. وكان الرجل النحيف يتطلع إلى حذائى ثم تكلم بعض كلمات باللغة الألمانية. ثم قال الرجل المسن:

ـ حذاؤك جميل جداً. هل اشتريته من هنا؟

قلت:

لا، هذا الحذاء جاء من لندن. لقد حصلت عليه من السيد الذى كان يصطاد هنا االسنة الماضية. والآن ما هو اسمه؟

ودعكت فى أذنى لكى أتذكر اسمه.

وتكلم الرجل السمين باللغة الألمانية، قائلاً:

ـ هيا نذهب. هذا الشخص لاغبارعليه.

وسألونى علاوة على ذلك سؤالاً واحداً:

ـ هل مرّ أى شخص من هنا فى الصباح الباكر؟ لعله كان يركب دراجته.

فكرت فى هذا السؤال للحظة، ثم قلت:

ـ حسن، لقد تأخرت بعض الشئ هذا الصباح. فابنتى جاءت لتبيت من لندن بالأمس وأقمنا حفلة الليلة الماضية. وفتحت الباب حوالى الساعة السابعة،ولم يكتن يوجد أحد على الطريق.

ألقى على ثلاثتهم التحية وعادوا إلى سيارتهم. وبعد ثلاث دقائق إنطلقوا بعيداً.

شعرت بسعادة طاغية أنهم رحلوا. لكنى استمريت فى العمل. وكان هذا حكيماً لأن السيارة عادت بعدها بقليل. وتطلع ثلاثتهم إلى ثانية وهم يمرون.

أنهيت خبز وجبن تيرنبول وعلى الساعة الخامسة أنهيت العمل. لكنى لم أكن متأكداً بخصوص الخطوة التالية. كنت أشعر يقيناً أن أعدائى ما زالوا فى المنطقة. إذا مشيت فقد يوقفونى لكن لابد أن أهرب منهم.

قررت أن أنزل إلى كوخ تيرنبول، فعلى أن أعيد أشياءه وآخذ مصطفى. وأبقى حتى يأتى الظلام. وآمل عندئذ أن أهرب عبرالتلال.

لكن فجأة جاءت سيارة أخرى نازلة الطريق ووقفت. وكان بها رجل بمفرده ونادانى.

- هل لديك ثقاب؟

فتطلعت إليه وتعرفت عليه فى الحال إنها فرصة حظ فعلاً. كان أسمه مارما دوك جويلى، وقابلته مرة أومرتين فى لندن.

لم أكن أستلطفه. كان يصادق الشبان والسيدات العجائز الأثرياء الذين غالباً ما يدعونه إلى بيوتهم. حسن، جويلى كان شخصاً هشاً ولا يستطيع أن يؤذينى. .وقررت أن أتصرف بسرعة.

قلت:

- أهلاً جويلى، أنا مندهش أن أراك هنا.

شحب وجهه وسأل فى صوت عصبى:

من أنت؟

قلت:

هاناى، من روديسيا. ألا تذكرنى؟

فصاح:



انها تصلح للتذكر

- هاتاى القاتل!

- بالضبط. والآن انصت لى. إذا لم تطعنى بسرعة، سأكون قاتل جوبلى أيضاً. أعطنى معطفك وقبعتك.

كان خائفاً جداً فأطاعنى فوراً. وارتديت معطفه الجديد فوق ملابسى المتربة ووضعت قبعته فوق رأسى. ثم أعطيته نظارة تيربنول وقبعته القديمة المتسخة ،وقلت:

- البس هذه لبضع دقائق. إنها تصلح للتنكر.

وكنت أتساءل أى طريق أسلك. لقد جاء جوبلى من الشرق، وقررت أن أعود من ذلك الطريق. إذا كان أعدائى يراقبون الطريق، فسيتعرفون على السيارة. لكنى لا أعتقد أنهم سيوقفونها. لذلك أدرت السيارة وانطلقت بها.

قلت:

- والآن يا جوبلى، إذا كنت شخصاً طيباً، فلن أوذيك. لكن لا تحاول أى حيلة من الحيل ولا تتكلم. وتذكر أننى قاتل. وإذا تسببت فى أية مشكلة، فسأقتلك.

وقطعنا ثمانية أميال على طول الوادى. وكان عدة رجال واقفين على النواصى ونحن الاثنان منطلقان بالسيارة. ونظروا

باهتمام على السيارة لكنهم لم يحاولوا إيقافنا. وعند الساعة السابعة انحرفت داخل طريق ضيق، وقدت السيارة ببطء صاعداً التلال.

وأصبحت القرى والأكواخ وراءنا في الحال. وأخيراً أوقفت السيارة في مكان هادىء وتركت له مكان القيادة. وأعطيته معطفه وقبعته وأخذت منه نظارة تيرنبول وقبعته القديمة، وقلت:

- شكراً لك على صنيعك هذا. والآن يمكنك أن تذهب وتبحث عن الشرطة.

وانطلقت مبتعداً. ولاحظت ضوء السيارة الأحمر وهو يختفي في الطريق.

***

٦. مغامراتى مع السيد الأصلع

كانت ليلة باردة وكنت جائعاً جداً. كان تيرنبول لا يزال لديه معطفى وساعتى ومفكرة سكودر كانت فى جيب المعطف. أما نقودى فكانت فى جيب بنطلونى.

رقدت فى وسط بعض الحشائش الطويلة، لكنى لم أستطع النوم. وفكرت فى كل الناس الذين قد ساعدونى .واعتبرت نفسى رجلاً محظوظاً جداً.

كان الطعام هو مشكلتى الرئيسية. أغلقت عينى ورأيت قطعاً من اللحم السميك على طبق أبيض. تذكرت كل الوجبات الشهية التى أكلتها فى لندن. كنت أرفض دائماً الفاكهة بعد الأكل. والآن مستعد أن أدفع خمسة جنيهات مقابل تفاحة.

وقرب الصباح نمت قليلاً لكنى استيقظت ثانية حوالى الساعة السادسة . جلست وأخذت أتطلع إلى أسفل حيث الوادى . فتراجعت للخلف فوراً فى دهشة عظيمة .



فزحفت داخل الصدع وبدأت التسلق.

كان بعض الرجال ينقبون الحشائش الطويلة أسفل منى وكانوا يبعدون حوالى ربع ميل فقط.

زحفت بضع ياردات واختبأت وراء صخرة، وهناك لاحظت صدعاً فى التل يصل إلى قمته. فزحفت داخل هذا الصدع وبدأت أتسلق. وعندما وصلت القمة، رفعت رأسى ثانية. كان أعدائى ما زالوا ينقبون الحشائش الطويلة.

وتدحرجت فوق قمة التل إلى الجانب الآخر. لا أحد يستطيع أن يرانى هناك، لذلك جريت لمسافة نصف ميل. ثم تسلقت إلى القمة ثانية ووقفت منتصباً. فرآنى الرجال على الفور، وتحركوا تجاهى. فجريت فوق قمة التل وعدت إلى مكانى الأول. وكان أعدائى يتخذون الآن الطريق الخطأ، وشعرت بأمان أكثر.

وكانت أفضل خطة لى هى أن اتجه إلى الشمال، واخترت الممر الذى أسلكه بعناية. وبعد قليل كان واد عريض يمتد بينى وبين أعدائى.

لكنهم عندما اكتشفوا خطأهم، عادوا للخلف مسرعين. ورأيتهم فجأة فوق قمة التل، وبدأوا يصيحون على. فلاحظت عندئذ أنهم ليسوا أعدائى الحقيقيين كان اثنان منهم من الشرطة.

فكرت:

ـ لقد أبلغ جوبلى عنى، والآن يبحثون عن القاتل.

نزل رجلان بسرعة وشرعا فى التسلق على جانبى من الوادى. وركض رجلا الشرطة عبر قمم التلال إلى الشمال.

وشعرت بالخوف الآن لأن هؤلاء الرجال يعرفون المنطقة. كان لدى ساقان قويان ونفس طويل متوفر لكننى لم أكن أعرف أفضل الممرات.

تركت قمة تلّى وجريت نازلاً تجاه النهر .وكان هناك طريق بجانب النهر، ولاحظت بوابة على جانب الطريق. قفزت فوق البوابة وجريت عبر الحقول. وأدّى بى ممر إلى طريق محفوف بالأشجار حيث توقفت ونظرت خلفى. وكانت الشرطة ورائى على مسافة نصف ميل.

عبرت جداراً منخفضاً خلف الأشجار ووقفت فى ساحة مزرعة من المزارع. وكان منزل المزرعة على بعد حوالى خمسين ياردة.

وكان يوجد مبنى زجاجى بجانب المنزل، وكان سيد، جنتلمان، يجلس على مكتبه بالداخل. فنظر إلىّ أثناء سيرى تجاه المبنى.

كـانت الـحـجـرة تعج بالكتب وحـقـائب تحـتـوى على أدوات حجرية قديمة وأوانى متكسرة . ورأيت عدة صناديق من العملات القديمة. وكانت الكتب والأوراق تغطى مكتب «الچنتلمان».

كـان رجـلاً عـجـوزاً عطوفاً له وجـه مـسـتـدير وأصلع الرأس. وكان يضع نظارة كبيرة على عينيه . وعندما دخلت، لم يتحرك أو يتكلم.

ولم أستطع أن أتفوه بكلمـة أنا أيضاً. ونظرت إليـه ولاحظت عينيه. كانتا صغيرتين براقتين وصافيتين جداً .وكانت رأسه الصلعاء تلمع مثل الزجاج.

ثم قال ببطء:

- إنك فى عجلة من أمرك يا صديقى.

فأشرت عبر ساحة المزرعة والحقل. كان بعض الأشخاص يتسلقون فوق البوابة التى بجانب الطريق.

فقال:

- آه، إنهم رجال الشرطة ،وأنت هارب منهم، حسن، يمكننا أن نتكلم عن ذلك فـيـمـا بعـد. أنا لا أريد الشـرطة يدخلون هنا. إذا ذهبت للحجرة التالية، فسوف ترى بابين.

امش عبر الباب الذى فى جهة اليسار واغلقه خلفك. ستكون فى أمان تام هناك.

ثم التقط قلماً واستمر فى عمله. وأطعته على الفور. وذهبت إلى الحجرة التالية ومنها عبر الباب الذى فى جهة اليسار. كان الظلام شديداً بالداخل، وكانت هناك نافذة واحدة لكنها مرتفعة فى أعلى الحائط.

كنت آمناً من الشرطة فى تلك الحجرة لكننى لم أكن سعيداً. فى الواقع شعرت بالهيبة. كل شيء كان سهلاً حتى أننى بدأت أتساءل:

ـ لماذا ساعدنى ذلك الرجل العجوز؟ إننى لم أقابله من قبل مطلقاً، ولم يسألنى أية أسئلة.

وأثناء ماكنت منتظراً، فكرت فى الطعام مرة أخرى. ورسمت صورة لإفطارى وكان إفطاراً مثيراً. عبارة عن شرائح لحم وبيض. لن يستطيع الرجل العجوز أن يرفض تقديم ذلك لى. كنت أستطيع أن ألتهم رطلاً من اللحم ودستة من البيض.. كنت سارحاً فى هذه الوجبة عندما فتح الباب.

وأشار الرجل الواقف خارج الباب لي. وتبعته إلى حجرة «الجنتلمان» العجوز.

سألت:

- هل ذهبت الشرطة؟

- نعم، سألوني إذا كنت قد جئت إلى هنا. لكني لم أخبرهم أي شئ له أهمية. هذا صباح محظوظ بالنسبة لك، يا مستر ريتشارد هاناي.

تكلم بهدوء وبدا صغيراً جداً الآن. كنت أراقبه طول الوقت. وأغلق عينيه لكنهما كانا نصف مغلقتين فقط، مثل عيني الطائر. وفجأة تذكرت ما قد أخبرني به سكودر،عندما قال:

- إذا رأيت عينيه، يا هاناي، فلن تنساهما أبداً. هل كان هذا الرجل هوألد أعداء سكودر؟ وهل أنا الآن في منزل العدو؟ سوف أقتل الرجل العجوز إذا كانت هذه الأفكار حقيقية.

وخمّن خطتي فابتسم. ثم تحركت عيناه إلى الباب الذي خلفي. واستدرت فرأيت رجلين بمدافع رشاشة في أيديهما.

كان يعرف اسمي لكنه لم يرني مطلقاً من قبل. .وكانت هذه هي فرصتي الوحيدة، فسألت:



اعطى إشارة لأحد من الرجال، الذى أحضر لى بعضا من اللحم البارد

وكوبا من اللبن.

- ماذا تقول؟ اسمى ليس ريتشارد هاناى. أنا اسمى أينسلى..

- أهكذا؟ لكن طبعاً لديك أسماء أخرى. لم نختلف على الاسم.

وكان لا يزال يبتسم لى. ففكرت فى خطة أخرى بسرعة. لم يكن معى معطف،وملابسى ما زالت متسخة جداً. كانت خداعاً طيباً بالنسبة لى، لذلك شرعت فى رواية قصة.

سألت:

- لماذا أنقذتنى من الشرطة؟ إننى لم أكن أرغب فى سرقة تلك النقود. إنها سببت لى كثيراً من الإزعاج ويمكنك أن تأخذها.

وأخرجت أربعة جنيهات ذهبية من جيبى وألقيت بها على مكتب الرجل العجوز، وقلت:

- خذها،ودعنى أرحل.

- أوه، لا يا مستر هاناى، إننى لم أسمح لك بالرحيل. أنت تعرف الكثير ولن أسمح لك بذلك. إنك تقوم بدورك جيداً لكنك لاتستطيع أن تخدعنى.

تساءلت ترى هل هو على يقين منى. ولكنى رأيت للحظة خاطفة قليلاً من الشك فى عينيه، فقلت:

ـ أنا لا أريد أن أخـدعك. لماذا لا تصـدقني؟ سـرقت تلك النقودلأني كنت جائعاً. لقد ترك الرجلان السيارة وذهبا وراء الحادث. فنزلت من التل ووجدت النقود على أرضية السيارة. وتبعني رجال الشرطة منذ ذلك الحين. وأنا متعب جداً.

أصبح الرجل العجوز في شك واضح الآن. لكنه كان لا يزال مرتاباً في، رغم أننا لم نتقابل أبداً من قبل. وهذا ما جعله حريصاً.

قال:

ـ احك لي مغامراتك، ماذا حدث لك بالأمس؟

ـ لاأستطيع. إنني لم أتناول أي أكل لمدة يومين. اعطني طعاماً أولاً، ثم سأحكي لك كل شئ.

أعطى إشارة لأحد من الرجال الذي أحضر لي بعضاً من اللحم البارد وكوباً من اللبن. وفجأة،أ ثناء تناولي الطعام، تكلم الرجل العجوز إلي باللغة الألمانية. كانت حيلة طبعاً، لذلك لم أرفع بصري أو أجب عليه.

وعندما انتهيت، بدأت قصتي ثانية. لقد جئت من «ليث»،وكنت ذاهباً لزيارة أخي في ويجتاون. لم أكن مسافراً

بالقطار لأنى لم تكن معى نقود كافية. وفى طريقى رأيت الحادث، انحرفت سيارة عن الطريق وسقطت فى وادى صغير.

وقفز رجل من السيارة قبل أن تسقط، ثم ظهر رجل آخر. وتكلما لبضع لحظات ورحلا سوياً. فنزلت إلى السيارة. كانت مهشّمة تماماً، لكنى عثرت على الجنيهات الأربعة على الأرض. فوضعت النقود فى جيبى وركضت.

ودخلت دكان فى أقرب قرية وحاولت أن أشترى بعض الطعام. وقدمت جنيهاً ذهبياً إلى صاحب الدكان. فارتاب فى أمرى ونادى الشرطة. فهربت، لكن الشرطة مزّقت معطفى تماماً.

ثم صحت قائلاً:

- حسن، يمكنهم أخذ النقود ثانية. الإنسان الفقير المسكين ليست لديه أية فرصة.

فقال الرجل العجوز:

- إنها قصة طيبة يا هاناى، لكنى لا أصدقها. ثم اتكأ على ظهرالكرسى وبدأ يدعك فى أذنه اليمنى.

فصحت قائلاً:

- إنها الحقيقة. واسمى إيتسلى ،وليس هاناى. .ورجال الشرطة يعرفوننى وكانوا ينادون على اسمى من قمة التل.

نظرت إلى العينين البراقتين والرأس الأصلع أمامى. وعرفت أن شكوكه كانت تزداد. إنه لم ير وجهى من قبل. وكان وجهى مختلفاً عن صورى. وكانت ملابسى قديمة ومتسخة جداً.

وقال أخيراً:

- لابد أن تبقى هنا. وإذا لم تكن ريتشارد هاناى، فستكون فى أمان تام. لكنك إذا كنت هاناى، فسوف أقتلك بنفسى. وسوف أكتشف الحقيقة فوراً.

ورن جرس، ودخل رجل آخر فى الحال.

وقال:

- احضر السيارة، سيكون عندنا ثلاثة على الغداء.

وتطلع إلى بعناية مرة أخرى،وكان هناك شئ فظيع فى عينيه كانت باردتين وقاسيتين، مثل العينين البراقتين للثعبان. لم أستطع أن أنظر بعيداً عنهما. كانا يجعلانى ضعيفاً، مثل الطفل، فأريد أن أزحف إليه. أنه كان ألد أعداء سكودر. لكنى كنت مؤهلاً لأن أخدمه إذا طلب منى ذلك!

كان يدعك أذنه اليمنى ثانية. ثم تحدث باللغة الألمانية إلى واحد من الرجال. وعندما سمعت كلماته غادرتني أفكارى الغريبة.

قال:

- كارل، ضع هذا الرجل فى المخزن ولاتدعه يهرب. تذكر ذلك.

كان المخزن حجرة معتمة جداً، لكن لم يدخل معى أحد من الرجال. وجلس رجلان منهم فى الخارج حيث كنت أستطيع سماع حديثهما.

تحسست الجدران فى الحجرة ولمست العديد من الصناديق والبراميل. ثم جلست فوق أحد الصناديق لأفكر فى مشاكلى.

فسوف يعود الرجل العجوز وأصدقاؤه الذين سيتعرفون على. نعم سيتذكرون عامل الطريق لأنى كنت لا أزال مرتدياً ملابس تيرنبول. وكنت أستطيع تخمين أسئلتهم: لماذا كانت الشرطة تبحث عن عامل طريق؟ لماذا عثر عليه على بعد عشرين ميلاً من مكان عمله؟ وسوف يتذكرون مارمادوك جوبلى أيضاً، وفكّرت، وربما سير هارى أيضاً. لن أستطيع مواصلة خداع هؤلاء

الأعداء الأجانب وسوف أكون بمفردى معهم هنا. وكانت فرص هروبى ليست كبيرة.

وفجأة ازداد غضبى وكرهت هؤلاء الجواسيس الألمان فى بريطانيا. أنا لن أقبع فى هذا المكان المعتم ولا أعمل شيئاً. يجب على أن أهاجمهم أو أحاول الهرب.

فنهضت ومشيت حول الحجرة ثانية. كانت الصناديق والبراميل متينة قوية لم أستطع أن أفتح واحداً منها، لكنى توصلت إلى خزانة فى الحائط. كانت مغلقة بالمفتاح غالباً لأنى لم أستطع فتحها. لكن كان هناك شق فى الباب. فدسست أصابعى عبر الشق وأخذت أشد الباب بكل قوتى. فانكسر باب الخزانة وانفتح.

كان فى داخله أشياء غريبة. الأشياء الأولى التى عثرت عليها نصف دستة من المصابيح الكهربائية. كانت فى حالة جيدة، فأضأت واحدة منها على الخزانة.

كانت هناك زجاجات وصناديق صغيرة وبعض الحقائب الصفراء المغبّرة. وعثرت على صندوق من المتفجرات مع الفتيل الطويل كاملاً. ووجدت فى مؤخرة الخزانة صندوقاً متيناً. فى البداية اعتقدت أنه مقفل. لكنه فتح بكل سهولة وكان مملوءاً بأعواد الديناميت.

كــان يمكننى أن أدمّر المنزل كله بهـذا الديناميـت. ولقـد استخدمته عدة مرات فى روديسيا وكنت على دراية بقوته. وكان من الممكن أن يدمرنى أنا أيضاً كانت هذه فرصة للهرب، ولاشك فى ذلك، بل وربما تكون فـرصـتى الوحـيـدة. لذلك قـررت فى اقتناصها.

وعثرت على شق فى الأرض قرب الباب. فوضعت عوداً من الديناميت داخل الشق وثبت مـفجراً وفتيلاً به ثم حركت أحد الصناديق حتى أصبح فوق الشق.

وجلست قرب الخزانة وأشعلت الفتيل. وأخذت أراقب النار وهى تتحرك فى الفتيل. كان الرجلان لا يزالان يتكلمات بهدوء خارج الباب..

وفجأة حدثت ضجة فظيعة، واندفعت حرارة شديدة وضوء باهر من الأرضية وتعلق فى الهواء للحظة، ثم حل محلها سحب من الغبار. وملأ الحجرة دخان أصفر سميك، ولم أستطع رؤية أى شئ فى البداية، ثم ظهر نور فى الحجـرة وفرأيت ظهور حفرة كبيرة فى الجدار، فجريت نحوها. كان الهواء فى الخارج مشبعاً بالدخان والغبار أيضاً، وكنت أستطيع سماع أصوات الرجال.



وجلست قرب الخزانة واشعلت الفتيل.

وبعد أن تسلقت عبر الحفرة ركضت بكل قوتى. كنت فى ساحة المزرعة فى الجهة الخلفية من المنزل .وكان يوجد على بعد حوالى ثلاثين ياردة برج حمام حجرى عال. لم يكن للبرج أية أبواب أو نوافذ، لكن كانت به فتحات صغيرة كثيرة من أجل الحمام. وكان يبدو أن سطحه لا يقل ارتفاعه عن أربعين قدماً.

إذا تمكنت من الوصول إلى هذا السطح، فسأصبح فى مأمن. إنهم لن يبحثوا على هناك، هكذا فكّرت.

وركضت داخل الدخان إلى أن وصلت خلف برج الحمام. ثم بدأت التسلق. كان مجهوداً صعباً، وأخذت أصعد ببطء شديد. لكنى وصلت أخيراً إلى السطح ورقدت خلف جدار منخفض.

لقد أخذت أسعل بسبب الغبار والدخان، وشعرت بالإعياء والإرهاق. لكنى أصبحت فى أمان فى هذا المكان المرتفع، ونمت فى الحال.

لعلى نمت عدة ساعات. فعندما استيقظت، كانت شمس ما بعد الظهيرة قوية جداً. واستطعت أن أسمع أصوات رجال مرة أخرى وكذلك صوت موتور سيارة. فرفعت نفسى قليلاً وتطلعت من فوق الجدار.

فرأيت أربعة أوخمسة رجال يمشون عبر ساحة المزرعة متجهين إلى المنزل. وكان كبيرهم معهم وكان من الواضح أنه غاضب جداً. وأشار عبر الحقول وقال شيئاً ما باللغة الألمانية للخدم. وكان الرجل النحيف الأسمر هناك وكذلك الرجل السمين أيضاً.

رقدت فوق سطح برج الحمام طوال ما بعد الظهر. وكنت أشعر بظمأ شديد كان هناك نهر صغير بجانب المزرعة وكنت أستطيع سماع صوت الماء. وتحسست النقود فى جيبى. وكنت على استعداد لدفع أربعين جنيهاً مقابل كوب من الماء إذا وجدت الفرصة لذلك!

انطلق رجلان بالسيارة، وبعد ذلك بقليل انطلق رجل آخر جهة الشرق فوق حصان. لقد بدأ البحث والتنقيب لكنهم كانوا جميعاً يسيرون فى الاتجاه الخاطئ!

جلست فوق السطح وأخذت أتطلع حولى. لم أر فى البداية أى شئ له أهمية بالنسبة لى، ثم لاحظت حلقة كبيرة من الأشجار. كانت هذه الأشجار على بعد نصف ميل من المنزل، وكان يوجد حقل منبسط داخل الحلقة

فكرت:

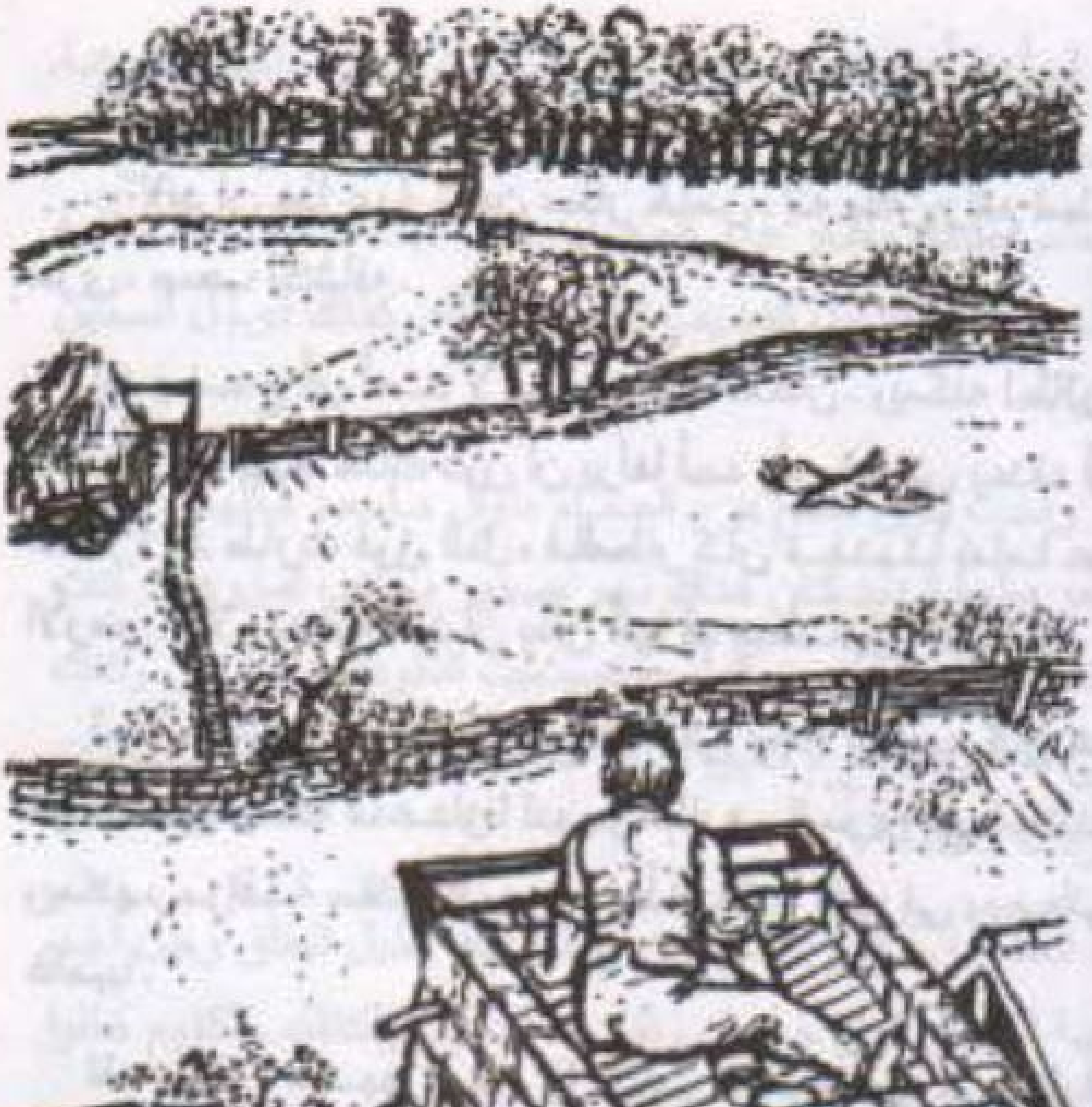
- لابد أن هذا عبارة عن مطار خاص، إنه مكان رائع لمطار سرى، صعب اكتشافه.

إنه يخدع أى أحد لا يعرف هذا المكان. ويمكنه لطائرة صغيرة أن تهبط هناك دون أن يراها أحد وأى شخص يعتقد أن الطائرة قد طارت فوق التل، فالمطار كان مختبئاً تماما عن الأرض. ولا يستطيع أحد أن يظن أنها قد هبطت بين الأشجار.

ثم لاحظت خط أزرق طويل بعيداً فى اتجاه الجنوب كان هذا هو البحر. وهكذا فاعداؤنا لديهم مطارهم السرى فى اسكتلندا ويمكنهم مراقبة سفننا كل يوم. وبدأ التفكير يثيرنى ويجعلنى غاضبا.

لقد جعلنى عصبيا أيضا. إذا عادت الطائرة فسيرانى الطيار بكل سهولة لكننى لا أستطيع القيام بأية حركة قبل حلول الظلام.

انبطحت فوق سطح برج الحمام وانتظرت حوالى الساعة السادسة خرج أحد الرجال عبر حفرة المخزن ومشى ببطء تجاه برج الحمام ،وشعرت بالفزع لبرهة لكننا سمعنا كلانا صوت الطائرة فى وقت واحد، فاستدار الرجل على الفور وعاد إلى المخزن ثانية.



فكرت: لابد ان هذا عبارة عن مطار خاص.

لم تطر الطائرة فوق المنزل، وكنت سعيدا بذلك، وطارت حائمة حول الأشجار ثم هبطت أضيئت بعض الأنوار للحظات .وبعد عشر دقائق سمعت أصواتا، وبعد ذلك أصبح كل شيء هادئ وبدأت العتمة تقترب .

انتظرت حتى الساعة التاسعة على ما أعتقد، ثم تسللت هابطاً من السطح ووصلت للأرض بسلام، وزحفت حتى برج الحمام على يدى وركبتى.

ذهبت أولا إلى النهر الصغير حيث شربت الماء البارد القراح، ثم شرعت فى الركض السريع أردت أن ابتعد قدر الإمكان عن ذلك المنزل الفظيع.

٧.صياد السمك

أصبحت الآن حرا طليقا، لكنى كنت أشعر بالغثيان كنت لاأزال أشم دخان الديناميت وبعد ساعة من الركض والتطلع خلفى توقفت لأخذ قسطاً من الراحة.

كانت الساعة حوالى الحادية عشرة عندما وصلت إلى الطريق. أردت أن أعود إلى كوخ مستر تيرنبول، كان معطفى هناك، الذى فى جيبه مفكرة سكودر، وكان يجب أن أحصل على هذه المفكرة، وكانت خطتى عندئذ أن أعثر على السكة الحديد وأسافر للجنوب. وبعد ذلك سأذهب مباشرة إلى أرتنسويل لأقابل سير والتر بوليفانت

كانت ليلة جميلة كنت أعرف أن كوخ تيرنبول على بعد مايقرب من ثمانية عشر ميلاً. وكان بعيدا علىّ ولا يمكن أن

أصل إليه الليلة، وكان من الأفضل أن أختفى خلال النهار وأسير بالليل فقط.

وعندما أشرقت الشمس، كنت قرب أحد الأنهار وغسلت رأسى وذراعى فى الماء البارد النظيف لأنى كنت متسخاً جداً. وكان القميص والبنطلون ممزقين وكنت أخشى أن أقابل أحدا وأنا فى هذه الحالة، ولكن خلف النهر بقليل جئت الكوخ كنت جائعا جدا لذلك لجأت لهذا الكوخ

كان الرجل ليس بالمنزل، وفى البداية ارتابت زوجته فى، لذلك التقطت فأسا وبدت مستعدة تماما لمهاجمتى

فقلت:

– لقد وقع لى حادث حيث سقطت فى التلال واشعر بالتعب والإعياء هل يمكنك أن تساعدينى؟

ولم تسألنى أية أسئلة لكنها دعتنى للدخول للمنزل، وأعطتنى كوبا من اللبن وبعض الخبز والجبن. ثم جلست بجانب النار فى مطبخها وتبادلنا أطراف الحديث، وقدمت لها جنيها ذهبياً،

لكنها رفضته فى البداية.

قالت:

- إذا لم تكن نقودك، فلا أريدها

فقلت غاضبا:

- لكنها نقودى هل تعتقدين أنى سرقتها؟

فقبلتها عندئذ وفتحت الخزانة التى فى الحائط وأخرجت منها قطعة قماش مربعة النقش من الصوف الإسكتلندى المفيد فى البرد والذى يرتديه الرجال فى اسكتلندا بدلا من البنطلون، وإحدى قبعات زوجها، وعندما غادرت كوخها، أصبحت مثل الاسكتلنديين الحقيقيين.

مشيت لساعتين أو ثلاث ساعات. ثم تغير الطقس وبدأت تمطر. لكنى كنت أشعر بالدفء والجفاف بسبب القماش الاسكتلندى وبعد قليل جئت إلى صخرة كبيرة معلقة فوق قطعة أرض منخفضة كان العشب تحت الصخرة جافا تماما. وهكذا رقدت ونمت هناك طول النهار.

وعندما استيقظت، كانت العتمة قد اقتربت لكن الطقس كان لايزال بارداً ممطراً، ولم أكن متأكداً من طريقى، وأخذت الممر الخاطئ مرتين ولعلى سرت إلى الآن عشرين ميلا. ولكن فى الساعة السادسة صباحاً وصلت إلى كوخ مستر تيرنبول.



واعطتنى قطعة قماش من الصوف الاسكتلندى واحدى قبعات زوجها

وفتح مستر تيرنبول الباب بنفسه، لكنه لم يتعرف على فسأل:

- من أنت؟ لماذا تأتى إلى هنا صباح الأحد؟ إنى أستعد للذهاب إلى الكنيسة.

لقد نسيت أيام الأسبوع. لقد بدت كل الأيام واحدة بالنسبة لى. وشعرت بالإعياء حتى أننى لم أستطع الإجابة عليه. لكنه تعرف على عندئذ.

وسأل:

- هل معك نظارتى؟

فأخرجتها من جيبى وأعطيتها له، فقال:

- بالطبع لقد جئت من أجل معطفك، أدخل يا رجل. إنك تبدو مريضا. انتظر سأحضر لك كرسيا.

كنت فى روديسيا قد أصبت بالملاريا، ومازالت فى جسمى فأنا أعرف علاماتها جيدا. والآن المطر والبرد والإرهاق قد يجلبوها لى ثانية. لكن مستر تيرنبول ساعدنى فى الحال على خلع ملابسى وإيوائى فى سرير وثير.

وظللت عنده لمدة عشرة أيام، اعتنى بى خلالها جيدا.

واستمرت الملاريا ستة أيام تقريبا ثم نزلت درجة حرارة جسمى وعدت طبيعيا وقمت من الفراش.

كان يخرج للعمل كل صباح ويعود فى المساء واعتدت أن ارتاح .كل النهار. كانت لديه بقرة تمدنا باللبن الحليب الدسم ودائما ما كان يوجد طعاما بالمنزل.

وفى إحدى الأمسيات قلت:

– يوجد مطار صغير على بعد خمسة عشر ميلا تقريبا

هل رأيته؟ تهبط فيه طائرة صغيرة من حين لآخر. هل تعرف من يملك المكان؟

قال:

– لا أعرف، لقد رأيت الطائرة طبعا، .لكنى لا أعرف أى شىء عنها.

وأحضر لى عدة صحف أثناء بقائى معه. وقرأتها جميعا بشغف. لكنى لم أر شىء عن جريمة القتل فى لندن.

ولم يسألنى تيرنبول أية أسئلة حتى ولا اسمى. واندهشت لذلك وفى يوم ما قلت:

- هل سألك أحد عنى؟

قال:

- كان هناك رجل فى سيارة توقف فى أحد الأيام وسألنى عن عامل الطريق الآخر. كان ذلك طبعا أنت. وبدالى شخصا غريبا حتى أننى لم أخبره بأى شيء

عندما تركت الكوخ، أعطيت تيرنبول خمسة جنيهات لم يكن يريد أن يأخذ النقود على الإطلاق. واحمر وجهه وصار وقحا معى

لكنه أخذها فى النهاية، وقال:

- أنا لا أريد نقوداً. عندما كنت مريضاً، ساعدتنى والآن أصبحت أنت مريضا فساعدتك ولا داعى للنقود

كان الطقس جميلا فى ذلك الصباح لكنى كنت بدأت أشعر بالقلق إنه الثانى عشر من يونيو، وكان على أن أنهى عمل سكودر قبل الخامس عشر.

تناولت الغداء فى فندق هادئ فى موفات ثم ذهبت إلى محطة السكة الحديد. كانت الساعة السابعة فى المساء.

سألت:

- فى أى وقت يذهب القطار إلى لندن؟

قال رجل السكة الحديد:

- الثانية عشرة إلا عشر دقائق.

كان وقتا طويلا للانتظار لذلك غادرت المحطة، وعُثرت على مكان هادئ قرب قمة التل فرقدت هناك ونمت كنت متعبا فنمت حتى الثانية عشرة إلا عشرين دقيقة. ثم ركضت إلى المحطة حيث كان القطار منتظرا.

قررت ألا أذهب إلى لندن. فنزلت من القطار عند كربوى وانتظرت هناك لمدة ساعتين. وأخذنى القطار التالى إلى بيرمنجهام، فوصلت ريدنج فى الساعة السادسة مساءً. وبعدها بساعتين كنت أبحث عن كوخ سير والتر بوليفانت فى أرتنسويل.

كان نهر كينيت يمر بجانب الطريق. وكان الهواء الإنجليزى حلوا ودافئا، مختلفا تماما عن الهواء الإسكتلندى وقفت لعدة دقائق على جسر فوق النهر. وبدأت أغنى وأنيا لوريا، بصوت منخفض.

جاء صياد سمك من ضفة النهر. وأثناء سيره نحوى، بدأ يغنى أنيا لوريا، أيضا.



كان صياد السمك رجلاً ضخماً.

كان صياد السمك رجلا ضخما. كان يرتدى بنطلونا رماديا قديما وقبعة كبيرة. فنظر إلى وابتسم. وشعرت أن له وجها حكيما شريفا. ثم نظر معى إلى الماء، وقال:

- إنه نظيفاً وصافياً. فالكينيت نهر جميل. أنظر إلى هذه السمكة هناك، لكن الشمس قد غابت الآن، وإذا حاولت كل الليل، فلن تمسك بها.

قلت:

- أين؟ أنا لا أستطيع أن أراها.

- انظر، أسفل هناك، بارزة من نباتات الماء تلك.

- أوه، نعم. أستطيع أن أراها الآن. إنها تشبه الحجر الأسود الكبير، أليس كذلك؟

فقال:

- آه.

وغنى مزيد من كلمات أغنية «دنيا لوريا».

كان لايزال يتطلع إلى الماء عندما قال:

- اسمك تويسدون، على ما أعتقد.

قلت:

- لا.

ثم تذكرت فجأة أسمائي الأخرى فأضفت بسرعة:

- أوه، نعم، تمام... تمام.

فضحك، وقال:

- الجاسوس الجيد يعرف دائما اسمه.

كان بعض الرجال يعتبرون الجسر من خلفنا، فرفع سير والتر صوته قائلاً:

- لا، لن أعطيك. إنك قوى ويمكنك أن تعمل، أليس كذلك؟ يمكنك ؟أن حصل على طعام من مطبخي، لكنى لن أعطيك بنسا واحداً.

مرّ الرجال، وتحرك صياد السمك مبتعداً عنى. وأشار إلى بوابة بيضاء على بعد مائة ياردة، وقال:

- ذلك هو منزلى. انتظر هنا لمدة خمس دقائق، ثم تعالى من الباب الخلفى.



قال رئيس الخدم: أرجو أن تناسبك هذه الأشياء.

عندمـا وصلت الكوخ، كـان «البـاب الخلفي مـفـتـوحاً. وكـان رئيس خدم سير والتر منتظراً للترحيب بي.

قال:

– تعال من هنا، يا سيدي

وقادني للصعود على السلم. وأخذني إلى إحدى حجرات النوم

وكان يوجد طقم مـلابس كامل على السرير. ولاحظت بذلة رسمية وقميص أبيض نظيفا. لكن كانت هناك مـلابس أخرى أيضا وعدة أزواج من الأحذية.

قال رئيس الخدم:

– أرجو أن تناسبك هذه الأشياء، يا سيدي. وحمامك جاهز في الحجرة التالية. سأرن الجرس للعشاء في الساعة التاسعة، يا سيدي.

عندما مضى، جلست. اعتقدت أني أحلم. في مثل هذا الوقت أول أمس كنت نائما على قمة تل اسكتلندي.

والآن أنا في هذا المنزل الرائع، وسير والتر لا يعرف حتى اسمي.

أخذت حماما ثم ارتديت البذلة الرسمية للعشاء مع القميص الأبيض. وكل شيء ناسبني تماما. ورن الجرس من أجل العشاء، فنزلت لأقابل سير والتر، وقلت:

– إنك كريم جدا، يا سيدى، لكنى يجب أن أقول لك الحقيقة. أنا لم أقترف أى خطأ، لكن الشرطة تبحث عنى حاليا.

فابتسم، وقال:

– لا بأس. يمكننا أن نتكلم عن هذه الأمور بعد العشاء. أنا سعيد إنك وصلت إلى هنا سالما.

استمتعت بتلك الوجبة، وكان كل شيء رائعا، وكان سير والتر رجلا ممتعا سافر إلى العديد من البلاد. وتكلمت عن روديسيا والسمك فى نهر زامبيزى، وحكى لى هو بعض من مغامراته.

وبعد العشاء ذهبنا إلى مكتبته، وأحضر لنا رئيس الخدم القهوة. كانت حجرة لطيفة جدا، بها كتب وصور جميلة حول الجدران. وقررت أن أشترى منزلا مثل ذلك عندما أنتهى من شغل سكودر.

استند سير والتر على كرسيه، وقال:

– لقد أطعت أوامر هارى، والآن أنا جاهز للسماع لك يا مستر هاناى. عندك بعض الأخبار على ما أعتقد.

اندهشت لسماعى اسمى الحقيقى، لكنى بدأت قصتى وحكيت له كل شىء. فوصفت لقائى مع سكودر ومخاوفه بخصوص كاروليديس. وقلت له عن جريمة القتل ومغامرتى مع بائع اللبن

فسأل:

- أين ذهبت عندئذ؟

- ذهبت إلى جالواى. واكتشفت سر شفرة سكودر واستطعت قراءة مذكراته.

- هل مازالت معك؟

- نعم.

ثم وصفت لقائى مع سير هارى وكيف ساعدته فى برانتبرن.

وضحك سيروالتر، وقال:

- هارى لا يستطيع إلقاء خطبة. إنه شخص طيب جداً، لكن أفكاره كلها خاطئة. استمر فى قصتك يا مستر هاناى.

رويت له عن تيرنبول وعملى كعامل طريق. وكان مستمتعا بذلك، وسأل:

- هل يمكنك وصف هؤلاء الأشخاص أصحاب السيارة؟

– حسن، كان واحد منهم نحيفا أسمر، كنت قد رأيته من قبل فى الفندق مع الشخص السمين. لكننى لم أعرف الرجل الثالث الذى كان أكبرهم سنا.

– وماذا حدث بعد ذلك؟

– قابلت مارمادوك جوبلى بعد ذلك، وأصبته بإحدى مزحاتى.

وضحك سير والتر ثانية عندما وصفت له هذا الجزء من القصة. لكنه لم يضحك على الرجل العجوز الأصلع فى منزل المزرعة.

وسأل:

– كيف هربت من المكان؟

فأجبت:

– عثرت على ديناميت، ومتفجرات فى الخزانة. فهدمت المبنى تقريبا. ويوجد مطار صغير هناك حيث تهبط الطائرة. بعد ذلك مرضت لمدة أسبوع بالملاريا. واعتنى بى تيرنبول تماما ثم سافرت جنوبا بالقطار، وهاأنا ذا.

وقف سير والتر ببطء ونظر إلى، وقال:

- لا خوف عليك من الشرطة يا هاناى، فرجال الشرطة لا يبحثون عنك الآن.

فاندهشت لسماع ذلك، وصحت:

- لماذا؟ هل عثروا على القاتل؟

- لا ، ليس بعد. لكن الشرطة عرفت أنك لم تقتل سكودر.

- كيف عرفوا ذلك؟

- لكنى استلمت رسالة من سكودر. لقد أنجز لى بعض الأعمال، وعرفته جيدا. كان جاسوساً عظيماً، لكن له غلطة واحدة.

- وما هى؟

- كان يريد دائما أن يعمل بمفرده، وفشل لذلك السبب أفضل الجواسيس يعملون مع الجواسيس الأخرى، لكن سكودر لم يستطع عمل ذلك. كنت آسفا جدا لذلك لأنه كان شخصا ظريفاً ورجلاً شجاعاً جداً. لقد وصلتنى رسالة منه فى الحادى والثلاثين من مايو.

– لكنه كان قد مات عندئذ. إنه قتل فى الثالث والعشرين من مايو؟ أليس كذلك

– نعم، إنه كتب الرسالة فى الثالث والعشرين. كان دائما يحاول خداع أعدائه. لذلك أرسل الرسالة أولا إلى أسبانيا ثم عادت إلى إنجلترا.

– عن ماذا كتب؟

– أخبرنى أن بريطانيا فى خطر عظيم. وقال أيضا أنه يقيم مع صديق طيب. وأظن أن الصديق الطيب كان أنت، يا هاناى ووعد أن يكتب فى فرصة أخرى قريبا.

– وماذا فعلت عندئذ؟

– ذهبت إلى الشرطة فوراً، واكتشفوا اسمك فأرسلنا برقية إلى روديسيا. وكان الرد معقولا، لذلك لم نرتب بخصوصك وخمّنت لماذا غادرت لندن. إنك أردت أن تواصل عمل سكودر، أليس كذلك؟ ثم وصلنى خطاب هارى، فخمنت أن توسدون هو ريتشارد هاناى.

كنت سعيدا جدا لسماعى كل هذا. إن أعداء بلدى كانوا أعدائى لكن الشرطة فى جانبى الآن. وأصبحت حرا مرة أخرى!

جلس صياد السمك الضخم وابتسم لى، وقال:

- أرنى مذكرات سكودر.

فأخرجت المفكرة الصغيرة وبدأت أفسر الشفرة له.

كان سريعا جدا وعرف معنى الأسماء. واشتغل لمدة ساعة أو أكثر فى دأب واجتهاد.

وقال:

- كان سكودر صائبا فى شىء واحد. إن ضابطا فرنسيا قادما إلى لندن فى الخامس عشر من يونيو، وهو بعد غد، واعتقدت أن ذلك كان سراً. ونحن على علم طبعا بوجود بعض الجواسيس الألمان فى إنجلترا. ولدينا رجالنا فى ألمانيا أيضا. لكن كيف اكتشفوا جميعا سر زيارة هذا الرجل الفرنسي؟ أنا لا أصدق قصة سكودر عن الحرب والحجر الأسود كانت لديه أفكار غريبة.

وقف سير والتر ثانية ومشى فى أرجاء الحجرة، ثم كرر قائلا:

- الحجر الأسود. إنه مثل ما يجىء فى القصص الرخيصة، أليس كذلك؟ ولا أصدق الجزء الخاص بكاروليديس أيضا. إنه رجل هام، أعرف، لكن لا أحد يريد أن يقتله. ربما يكون هناك بعض الخطر الذى قد سمع عنه سكودر. لكن هذا ليس مهما. إنه

عمل الجاسوس العادى الذى يستمتع به الألمان جدا. فأحيانا يقتلون رجلا. مثلما قتلوا سكودر والحكومة الألمانية تدفع لهم مقابل ذلك.

ودخل رئيس الخدم الحجرة، وقال:

- إنه التليفون يا سيدى. مكتبك فى لندن. مستر هيث يريد أن يتحدث معك

ترك سير والتر المكتبة. وعندما عاد بعد دقائق قليلة، بدا شاحبا تماما، وقال:

- كان سكودر على صواب، وكنت أنا على خطأ. لقد قُتل كاروليديس. لقد أُطلق عليه الرصاص منذ ثلاث ساعات تقريبا.

***

٨. الحجر الأسود

فى الصباح أخذ رئيس الخدم بذلة العشاء وأتى لى بملابس أخرى.

نزلت لتناول الإفطار فوجدت سير والتر على المائدة وكانت فى يده برقية، وقال:

- لقد انشغلت خلال الليل. تحدثت مع وزير الخارجية ومع وزير الحرب. فقاما بالاتصال التليفونى مع القائد الأول للبحرية وسوف يحضرون الرجل الفرنسى إلى لندن اليوم بدلاً من الغد. واسمه روير، وسيكون هنا الساعة الخامسة هذا المساء. وهذه البرقية من القائد الأول للبحرية.

وأشار إلى الطعام الساخن على المائدة، وبدأت أكل وكان إفطاراً رائعاً.



وكانت فى يده برقية.

واستمر قائلا:

- لا أعتقد أن هذا التغيير سيساعدنا. لقد اكتشف أعداؤنا الموعد الأول، لذلك من المحتمل أن يكتشفوا الموعد الجديد أيضا. لا بد أنه لا يوجد جاسوس ألمانى فى وزارة الخارجية أو وزارة الحرب خمسة رجال فقط كانوا يعرفون بقدوم روبر كنا نعتقد ذلك، لكن شخصا ما أخبر سكودر، والألمان.

فسألت:

- ألا يمكن أن تغيروا خططكم بالنسبة للحرب؟

- يمكننا لكننا لا نريد. لقد فكرنا كثيرا إزاء هذه الخطط وهى أفضل الخطط الممكنة.

- لكن إذا كان من الضرورى، فسوف تغيرونها.

- ربما. إنها مشكلة صعبة يا هاناى. فأعداؤنا ليسوا أطفالاً، إنهم لن يسرقوا أية أوراق من روبر.

إنهم يريدون أن يعرفوا خططنا، لكنهم يريدون أن يحصلوا عليها سراً. ثم يعود روبر إلى فرنسا ويقول، «هنا هى الخطط البريطانية بالنسبة للحرب، وهى سرية تماما، والألمان لا يعرفون شيئا عنها».

قلت:

- إذن يجب أن توفر للرجل الفرنسي حارساً خاصاً، يبقى معه كل الوقت.

- سيتناول روبر العشاء مع وزير الخارجية الليلة. ثم سيأتي إلى منزلي حيث سيقابل أربعة أشخاص. وهم:

سير أرثر دربوي، وجنرال وينسدانلي، ومستر ويناكر وأنا.

واللورد الأول للبحرية في صحة جيدة منذ بضعة أيام. لذلك سيأتي ويناكر بدلا منه. وسيأتي معه الخطط من القائد الأول للبحرية. وسنسلمها لروبر الذي سيغادر إلى بورتثموث. وستكون في انتظاره هناك بارجة لتأخذه إلى فرنسا.

وبعد الإفطار غادرنا إلى لندن بالسيارة

وقال سير والتر:

- إني سآخذك إلى سكتلانديارد يا هاناي. أريدك أن تقابل رئيس الشرطة.

كانت الحادية عشرة والنصف عندما وصلنا سكتلانديارد. دخلنا المبنى العظيم، وقابلت الرئيس، وكان اسمه ماك جليفراي.

قال سير والتر:

- لقد أحضرت لك القاتل.

فابتسم الضابط، وقال:

- سأكون سعيدا جدا إذا أحضرت القاتل الحقيقى يا بوليفانت.

صباح الخير يا هاناى. لابد أنك رجل مسل جداً.

قال سير والتر:

- ونحن سنقول لك أشياء مسلية، لكن ليس اليوم.

عليك أن تنتظر أربعا وعشرين ساعة مع الأسف. مستر هاناى رجل حر الآن، أليس كذلك؟

قال رئيس الشرطة:

- نعم، بالطبع.

ثم استدار إلى، وقال:

- هل تريد أن تعود إلى شقتك القديمة؟ إنها جاهزة لك، لكن لعلك تحب الانتقال منها.

كنت أفكر فى سكودر فلم أستطع الإجابة.



قال سير والتر: ـ لقد أحضرت لك القاتل.

فقال سير والتر:

- حسن، يجب أن أذهب الآن. ربما سنحتاج لبعض من رجالك يا ماك جليفراى، الليلة أو غداً. وقد تحدث بعض مشاكل.

وأثناء مغادرتنا، أخذ سير والتر بيدى، وقال:

- إنك على مايرام الآن يا هاناى، ستكون فى أمان فى لندن. تعالى لترانى غداً. لكن لا تتكلم عن هؤلاء الجواسيس، ممكن؟ ومن الأفضل أن تبقى فى شقتك اليوم.

وضحك فجأة، وقال:

- إذا... رجال الحجر الأسود هؤلاء شاهدوك فسيقتلوك عندما ذهب سير والتر، شعرت بالوحدة تماما لكنى كنت مضطرباً جداً. فذهبت إلى فندق سافوى وطلبت وجبة شهية. لكنى لم أستمتع بها. كانت الناس تتطلع إلى، وفكرت:

- هل هم تعرفوا على؟ هل رأوا صورتى فى الصحف؟

وتركت الفندق فوراً.

وبعد الظهر ركبت سيارة أجرى واتجهت عدة أميال شمال لندن. ودفعت لسائق السيارة أجرته ثم بدأت، أعود مشيا.

مشيت لعدة ساعات وأخيرا جلت إلى قلب لندن ثانية. وكنت أشعر بتعاسة شديدة.

كانت الساعة السادسة، وأموراً كبيرة كانت تحدث فى لندن لقد وصل روبر بالفعل. وكان سير والتر مشغولا فى وزارة الخارجية يخطط للاجتماع. وجواسيس الحجر الأسود كانوا يراقبون وينتظرون فى هدوء لكن ماذا كنت أفعل أنا؟ كنت أتجول فى قلب لندن!

وفجأة سنحت على خاطرى فكرة غريبة. أن هناك خطرا عظيما سيقع فى لندن ذلك اليوم.

لكن ماذا يمكننى أن أفعل؟ فسير والتر لا يحتاجنى ولا يمكن أن أدخل على اجتماع هام للقادة والوزراء. يمكننى أن أبحث عن الجواسيس الألمان طبعا. وإذا عثرت عليهم، فيمكننى أن أحاربهم. كنت متأكدا من شيء واحد: أن بلدى تحتاجنى فى هذه الورطة. ولهذا لم أدمر خطط الجواسيس بالألمان، فسوف يفوزون.

وقلت لنفسى:

– لكن هل ذلك حقيقى يا هاناى؟ ألا يستطيع سير والتر وأصدقاؤه أن يرعوا بريطانيا بسهولة؟ ألا يعرف القائد الأول

للبحرية عمله أفضل منى؟ هل يمكن لبضعة جواسيس ألمان أن يفعلوا أى شىء ضد كل هذه القوة؟

لم أكن متأكداً. وكان هناك صوت فى أذنى يكرر نفس الكلمات:

- افعل شيئا يا هاناى. هيا انهض وافعل شيئا الآن، وإلا لن تهنأ بنومك ثانية.

وفى التاسعة والنصف كنت أمشى فى شارع جيرمين. وقررت ماذا أفعل. سأذهب إلى منزل سير والتر. أعرف عنوانه ومن السهل الوصول إليه. إنه لم يكن يريد أن يرانى، لكن لابد أن أفعل شيئا.

جئت إلى شارع دوك ومشيت مارا بجماعة من الشباب كانوا يرتدون ملابس عشاء رسمية وخرجوا من أحد الفنادق. وكان واحد من الشباب مستر مارمادوك جوبلى. فرآنى وتعرّف على فى الحال.

فصاح:

- انظروا! إنه القاتل! اقبضوا عليه! إنه هاناى القاتل!



خذ نصيحتي ولا تقبض علي!

أمسك جويلي ذراعي، واندفع الآخرون لمساعدته. وركض رجل شرطة عبر الشاعر. فضربت جويلي بيدي اليسرى بقوة ورأيته يسقط. لكن الناس أمسكت بي ولم أستطع الحركة وقال رجال الشرطة:

- ما الأمر؟ ماذا يحدث هنا؟

فصاح جويلي:

- إنه هاناى القاتل.

قلت:

- أوه، اسكت. أنا لست قاتلا اسمع أيها الضابط. خذ نصيحتي ولا تقبض علي. رئيس الشرطة يعرف كل شيء عني. لقد كنت في الاسكتلنديارد هذا الصباح.

فقال رجل الشرطة:

- والآن أيها الشاب، تعال معي، رأيتك تبدأ العراك وهذا السيد لم يفعل لك شيئا، لكني رأيتك تضربه. والآن تعال معي بهدوء إلى مخفر الشرطة.

شعرت بحنق شديد بالفعل. وسمعت صوتا خافتا في أذني مرة أخرى يقول:

- يجب أن تهرب. لا تضيع دقيقة واحدة هنا.

وفجأة شعرت بقوة فيل. فاستدرت بسرعة وألقيت بالشرطى على الأرض. ودفعت بالرجال الآخرين بعيدا وجريت فى شارع دوك.

أستطيع أن أجرى بسرعة عندما أريد. وفى ذلك المساء طرت تقريبا. وفى دقائق معدودة وصلت بول مول واستدرت تجاه منتزه سانت جيمس. وجريت بين السيارات فى الطريق الذى يخترق المنتزه. وكان يوجد أناس قليلون فى المنتزه ولم يوقفنى أحد. وكان منزل والتر فى كوين آنزجيت وهناك بدأت أمشى.

كانت ثلاث أو أربع سيارات تقف فى الشارع خارج المنزل. فصعدت للباب وطرقت الجرس.

فتح رئيس الخدم الباب فى الحال. وكنت أستطيع أن أسمع صرخات عن بعد، لكن الشارع كان خاويا.

قلت:

- يجب أن أقابل سير والتر. عمل هام جداً

قال:



– ادخل يا سيدى. أخشى أنك لا تستطيع أن تقابله فوراً. لكن يمكنك أن تنتظر فى البهو حتى ينتهى الاجتماع.

كان منزلا قديما له بهو مربع كبير. وكانت الأبواب تؤدى إلى حجرات عديدة فى كل جانب، ويقف كأحد الحراس فى ملابس عادية خارج أحد الأبواب. وجلست فى الركن قرب التليفون.

أعطيت إشارة لرئيس الخدم، وقلت له هامسا:

– أنا فى ورطة ثانية. لكنى أعمل لسير والتر، وهو يعرف كل شىء عن ذلك. والشرطة وجمهرة من الناس يتبعون أثرى وقد يأتون إلى هنا. أرجوك لا تخبرهم إنى هنا. ولا تدعهم يدخلون فأجاب:

– وهو كذلك، يا سيدى.

وبعد دقيقة أو اثنتين سمعت أصواتا بالخارج. ورن جرس الباب وذهب رئيس الخدم ليفتح. تكلم أحدهم إليه من الخارج.

فانتصب فى وقفته فجأة، وقال:

– أنا آسف. هذا منزل سير والتر بوليفانت، وسير والتر هو سكرتير أول بوزارة الخارجية. ومع الأسف أنا لا أعرف أى شىء

عن أي قاتل. والآن أرجوكم الرحيل، وإلاّ سأستدعى الشرطة أنا نفسى.

ثم أغلق الباب ومشى عائدا عبر البهو. وبعد دقيقتين رن الجرس ثانية، ودخل جنتلمان. وعندما كان يخلع معطفه، رأيت وجهه. إنه وجه مشهور، وكثيرا ما رأيت صورته فى الصحف. كان الجنتلمان هو اللورد اللوا، القائد الأول للبحرية. كان رجلا ضخما له أنف كبير وعينان زرقاوان براقتان. ومشى ماراً بى، وفتح الحارس باب الحجرة له.

انتظرت فى البهو لمدة عشرين دقيقة وأثناء هذا الوقت كان الصوت الخافت لايزال يحدثنى فى أذنى، يقول:

– لا تذهب، سيحتاجون لك حالا.

رن جرس صغير فى مؤخرة المنزل. وجاء رئيس الخدم إلى البهو فى الحال. وترك القائد الأول حجرة الاجتماع، وأعطاه رئيس الخدم معطفه. نظرت إلى الجنتلمان للحظة، ونظر هو إلىّ فى استقامة مباشرة. حدث كل ذلك بسرعة جدا. وقفز قلبى فجأة لأنى لاحظت فوراً فى عينيه. أنا لم أقابل القائد الأول من قبل أبداً، وهو لم يقابلنى أبداً، لكن لا يوجد شك على الإطلاق



تطلعت خمسة وجوه من المائدة المستديرة باندهاش

بخصوص النور المفاجئ فى عينيه. معنى ذلك أنه قد تعرف على ونظر بعيدا فى الحال ومشى إلى الباب. وفتح رئيس الخدم الباب من أجله وأغلقه وراءه.

التقطت دفتر التليفون وبسرعة عثرت على رقم تليفون لورد اللوا. فطلبت الرقم، وأجاب رئيس الخدم عنده.

سألت:

- هل القائد الأول بالبيت؟

قال الصوت:

- نعم يا سيدى، لكنه ليس على ما يرام. إنه فى فراشه منذ الظهيرة. هل أبلغه رسالة يا سيدى؟

قلت:

- لا، شكراً.

ووضعت السماعة. وعبرت البهو بسرعة إلى حجرة الاجتماع ودخلت بدون استئذان.

وتطلعت خمسة وجوه من المائدة المستديرة باندهاش. كان منهم سير والتر ودريوى، وزير الحرب. لقد تعرفت على سير آرثر

يوى من صورة فى الصحف. ولقد رأيت جنرال ونستانلى من
ن، ثم رجلا مسنا واقفا بجانبه ربما هو ويتاكر. والرجل الخامس
ن قصيرا وسمينا مع شارب يظهر فيه الشيب.

بدا سير والتر حانقا جدا، وهو يقول:

– هذا هو مستر هاناى، أيها السادة. لقد حدثتكم عنه من قبل.
ن لماذا أتيت هنا يا هاناى؟ تعرف؟ أننا مشغولون جداً

قلت:

ـ وأعدائكم مشغولون جداً، وواحد منهم قد غادر الحجرة لتوه.

ازداد وجه سير والتر احمراراً، وقال:

ـ لكن ذلك كان لورد اللوا.

فصحت:

ـ لم يكن. فاللورد الوا فى فراشة منذ الظهيرة. لقد تحدثت إلى
ص خدمة بالتليفون حالا. والجنتلمان الذى كان هنا تعرف
ى. ولورد الوا لا يعرفنى.

فسأل أحد ما:

ـ إذن.... من .... من....؟

صحت:

- الحجر الأسود.

ونظرت حول المائدة فرأيت الشك والخوف فى خمسة أزواج من الأعين.

٩. درجات السلم التسع والثلاثون

قال مستر ويذاكر:

- لكن لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً. لقد أخبرنى لورد اللوا أنه من المحتمل ألا يأتى للاجتماع. لكنى أعرفه جيداً ولم اندهش لرؤيته هنا. إنك مخطئ تماماً بخصوص هذا، ياهاناى.

خرج سير والتر من الحجرة وتحدث مع شخص ما فى التليفون. وعندما عاد، تحول وجهه للشحوب.

وقال:

لقد تحدثت إلى اللوا. لقد نهض من الفراش ليأتى للتليفون. هاناى على حق. فالجنتلمان الذى كان هنا لم يكن لورد اللوا.

قال جنرال ونستانلى:

ـ لا أصدق ذلك، اللوا كان واقفاً بجانبى منذ عشر دقائق.

قلت:

ـ أيها السادة، الحجر الأسود يعرف عمله. لعلكم لم تتطلعوا إلى الرجل بدقة. كنتم تتحدثون عن هذه الخطط الهامة. والرجل كان يشبه لورد اللوا، وهكذا قبلتموه.

لكنه كان رجلاً آخر، ولعلى رأيته خلال الشهر الأخير.

ثم تحدث الرجل الفرنسى، قال ببطء فى لغة إنجليزية سليمة:

ـ إن الشاب على حق، إن أعداءنا يعرفون عملهم جيداً. اسمعوا وسأروى لكم قصة حقيقية. حدثت منذ سنين طويلة عندما كنت فى السنغال. كنت أعيش فى فندق لكنى اعتدت كل يوم أن أذهب لصيد السمك. كان النهر على أميال قليلة واعتدت أن أركب هناك فرسة صغيرة.

حسن، فى أحد الأيام أخذت غذائى كالمعتاد وعلقته فى عنق الفرسة. ثم اتجهت إلى النهر. وعندما وصلت هناك، ربط الفرسة فى شجرة. وانصرفت للصيد لعدة ساعات، وكنت أفكر فقط فى السمك. ولم ألحظ الفرسة على الاطلاق، لكنى كنت أسمع صهيلها، وكنت استطيع رؤية شكلها من ركن عينى. كانت

تتحرك كثيراً وتصرخ قليلاً أيضاً. وتحدثت إليها كالمعتاد، لكنى لم أرفع بصرى عن الماء.

حسن، جاء وقت الغذاء، لذلك وضعت السمك فى الكيس ومشيت على طول ضفة النهر. كنت لا أزال أصطاد بحرص وأراقب الماء. عندما وصلت الشجرة، ألقيت بالكيس على ظهر الفرسة..

وتوقف الرجل الفرنسى وتطلع حول المائدة، ثم قال:

- إنها الرائحة التى لاحظتها أولاً، رفعت بصرى ولفت رأسى. كان الكيس الذى به السمك على ظهر أسد. وكانت الفرسة ميتة نصفها مأكولاً على الأرض من خلفى.

فسألت، أنا أقر هذه كقصة إفريقية حقيقية.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

قال:

- أطلقت النار على الأسد فى رأسه. لكن قبل أن يموت أخذ جزءً منى.

ومد يده اليسرى فكان فيها أصبعان فقط.

واستمر قائلاً:

ـ تلك الفرسة كانت قد ماتت منذ ساعة. وكان الأسد يراقبنى كل الوقت، كان شكلاً بنياً قرب الشجرة، ولقد رأيت الشكل واللون لكنى لم أتطلع بدقة. ذلك كان خطئ يا سادة. ولقد وقعنا فى نفس الخطأ الليلة.

فوافق سير والتر على كلامه.

وقال الجنرال:

ـ وهذا الحجر الأسود، هل هو جاسوس ألمانى أم ماذا؟

لا يستطيع أحد أن يحفظ كل هذه الحقائق والأرقام فى رأسه. وهى لا تبدو لى ذات أهمية قصوى.

فأجاب الرجل الفرنسى:

ـ أوه، نعم يستطيع، فالجاسوس الجيد يستطيع تذكر كل شئ. عيناه مثل الكاميرا. هل لاحظتم أنه لم يتكلم على الاطلاق؟

قرأ الأوراق عدة مرات لكنه لم يقل أى شئ. ويمكنك التأكد من أن لديه كل الحقائق الآن. عندما كنت صغيراً، كنت أستطيع عمل نفس الشئ.

قال سير والتر:

ـ حسن، يجب أن نغير الخطط

فنظر مستر ويتاكر مندهشاً:

ـ هل قلت ذلك للورد اللوا؟

ـ لا

ـ بالطبع لا يمكننا أن نقرر هذا الآن. لكنى متأكدا تقريبا من ذلك. وإذا غيرنا الخطط، فسيتحتم علينا أن نغير الساحل الانجليزى أيضاً!

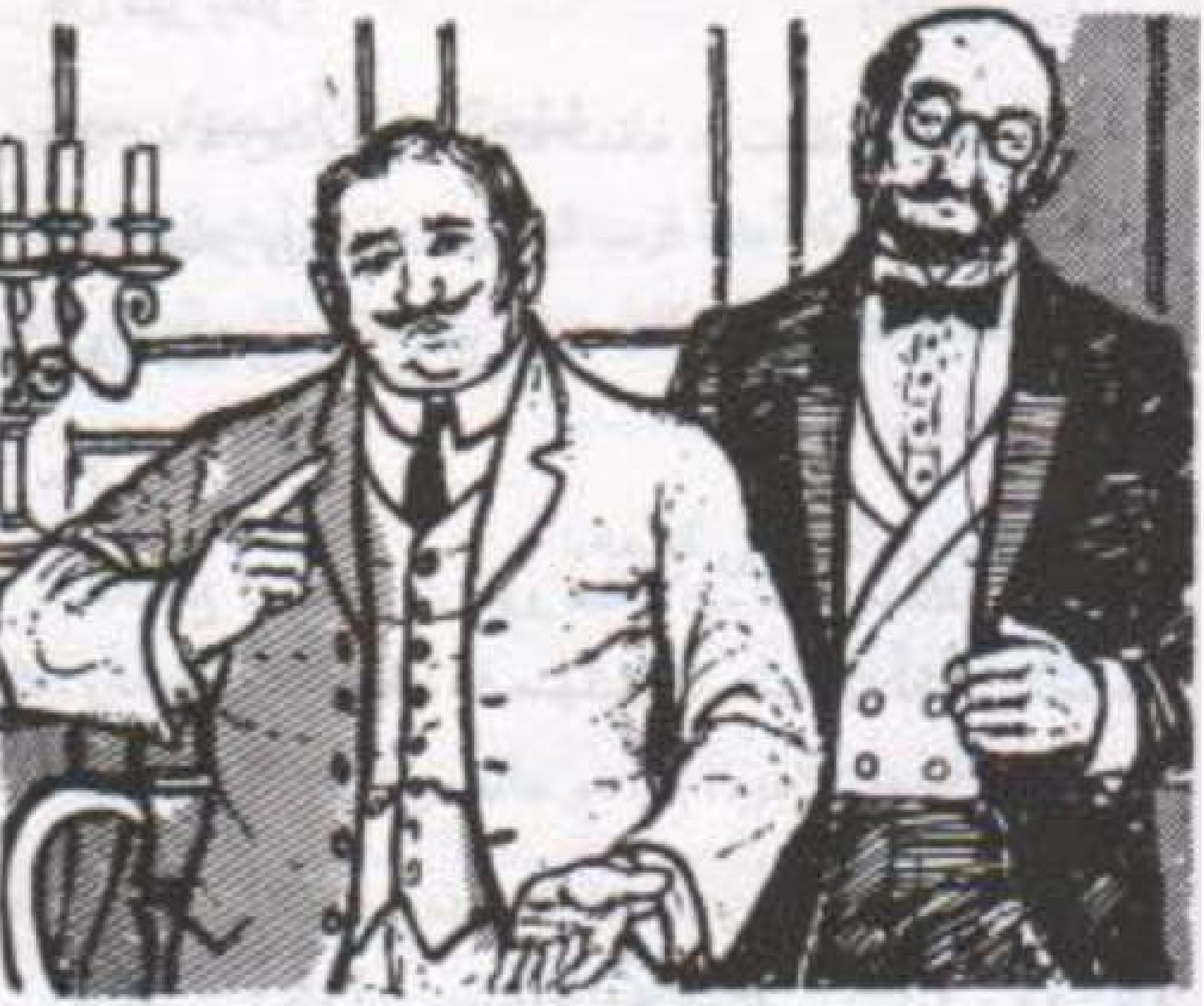
قال روبر:

ـ هناك مشكلة أخرى. لقد قلت لكم على بعض الخطط الفرنسية، وذلك الجاسوس الألمانى سمعها. ومن المحتمل الا نستطيع تغيير الخطط حالياً. لكننا يمكننا عمل الآتى أيها السادة: يمكننا أن نقبض على ذلك الرجل وأصدقاؤه قبل أن يغادروا البلد.

فصرخت:

ـ لكن كيف؟ إننا لا نعرف شيئاً عنهم.

قال ويتاكر:



انكم لا تعرفون كيف يعمل الجاسوس الجيد

وهناك البريد. فيستطيعون بكل سهوله ارسال الحقائق إلى المانيا بالبريد. ولعلها في الطريق الأن. ولا يمكننا البحث في البريد.

قال الرجل الفرنسي:

-- لا، إنكم لا تعرفون كيف يعمل الجاسوس الجيد، يا سادة. إنه يوصل الأسرار بنفسه. والألمان سيدفعو للرجل الذي يحضر الخطط. لذلك مازالت الفرصة أمامنا.

لابد أن الرجل سيعبر البحر للوصول إلى المانيا، ويجب أن نفتش كل السفن. صدقوني يا سادة. إن هذا الأمر في غاية الأهمية بالنسبة لكل من فرنسا وبريطانيا.

كان من الواضح أن روبير رجل حكيم، ولديه أفكار صائبة. لكن أين نستطيع أن نجد هؤلاء الجواسيس الألمان؟

كانت مشكلة من المشاكل العويصة.

عندئذ تذكرت فكرة سكودر، فصحت:

- سير والتر، هل أحضرت مفكرة سكودر من الكوخ؟ لقد تذكرت شيئا فيها.

فهزّ رأسه وذهب إلى خزانة، وبعد بضع دقائق عثرت على الصفحة. وقرأت:

ـ تسع وثلاثون سلمة، تسع وثلاثون سلمة ...عددتها.

والمد المرتفع فى العاشرة ،سبع عشر دقيقة.

كان ويتاكر يتطلع إلىّ. فسأل:

ـ وماذا يعنى كل ذلك؟

قلت:

ـ سكودر عرف هؤلاء الجواسيس. وكان يعرف المكان الذى يعيشون فيه. من المحتمل أن يغادروا البلد غداً.

وأعتقد أننا سنجدهم قرب البحر. توجد سلالم فى هذا المكان، وفيه مد مرتفع عند الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة.

فقال أحدهم:

ـ لكن يمكنهم المغادره الليلة. ولا حاجة لهم أن ينتظروا حتى الغد.

ـ لا أعتقد ذلك. ان لهم طريقتهم السرية ولن يتعجلوا أمورهم. إنهم ألمان، أليس كذلك؟



وتبعنا ويناكر عبر عدة حجرات خالية إلى حجرة الخرائط

والألمان يحبون دائما أن يتبعوا مخططا. والآن أين يمكننا الحصول على كتاب فى المد والجزر؟

فقال ويتاكر:

ـ حسن، إنها فرصة، ولعلها تمون فرصتنا الوحيدة فى الامساك بهم.

فسأل سير والتر:

ـ ألا يوجد كتاب فى البحرية عن المدوالجذر؟

فأجاب ويتاكر:

ـ نعم طبعاً. ومن الأفضل أن نذهب هناك فى الحال.

خرجنا إلى البهو، وأعطى رئيس الخدم للسادة معاطفهم. وركبنا في سيارتين، لكن سير والتر لم يأت معنا.

وقال:

ـ أنا ذاهب إلى سكتلنديارد. فلعلنا نحتاج لبعض رجال ماك جليفرى.

وصلنا البحرية وتبعنا ويتاكر عبر عدة حجرات خالية إلى حجرة الخرائط. وهناك عثر على كتاب عن المد والجزر، وأعطاه لي. فجلست على مكتب ووقف الأخرون من حولي.

لكن المهمة كانت صعبة لأى واحد منا. كانت توجد مئات من الأسماء فى الكتاب. وكان المد المرتفع عند الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة موجوداً فى أربعين أو خمسين مكاناً.

وضعت الكتاب وبدأت أفكر بخصوص السلالم، وقلت:

ـ إننا نبحث عن مكان لعل فيه عدة مجموعات من السلالم. لكن أهم واحدة فيها تحتوى على تسع وثلاثين سلمة

فقال روبر:

ـ والمد مهم أيضاً. وهذا يعنى أن الميناء من المحتمل جدا أن يكون صغيراً. وهؤلاء الرجال لن يحاولوا الهروب فى مركب كبير. لعل لديهم يخت أو مركب صيد.

قلت:

ـ ذلك ممكن تماماً. ولعل المكان ليس ميناء على الإطلاق، فهؤلاء الجواسيس كانوا فى لندن، والآن يريدون الذهاب إلى ألمانيا. لذلك فمن المحتمل أن يغادروا من مكان على الساحل الشرقى.

والتقطت قصاصة ورق ودونت فيها أفكارنا.

(١) المكان به عدة مجموعات من السلالم. أهم مجموعة بها تسع وثلاثين سلمة.

(٢) المد المرتفع فى الساعة العاشرة وسبع عشرة دقيقة، والمد قد يكون ضرورياً من أجل مغادرة المراكب.

(٣) المكان به ميناء صغيراً أو ربما مجرد ساحل مفتوح.

(٤) يمكن أن يستخدم الألمان يختاً أو مركب صيد. ثم خرجت ثلاثة أمور وكتبتها:

١ـ السلالم قد لا تكون جزءاً من الميناء.

٢ـ إنه على الساحل الشرقى ما بين كرومر ودوفر. وعلينا البحث عن يخت أجنبى.

ودخل سير والتر الحجرة ومن خلفه ماك جليفرى، الذى قال:

ـ الشرطة تراقب الموانى ومحطات السكة الحديد. لكن المهمة لن تكون بالنسبة لهم. إنهم يبحثون عن رجل سمين ورجل نحيف وثالث كبير فى السن!

قدمت الورقة لانى كتبتها لسير والتر وقلت:

– هذه هى أفكارنا. لكننا نريد أحدا ليساعدنا والتفت إلى ويتاكر، وقلت:

ـ هل يوجد رئيس لحراس الساحل على الساحل الشرقى؟

ـ لا أعرف. لكن لدينا مفتش حراس الساحل فى لندن. إنه يقطن فى كلاغام ويعرف الساحل الشرقى جيدا.

سألت:

– هل يمكنك إحضاره هذا الليلة؟

– نعم، أعتقد ذلك، سأذهب إليه فى منزله بكلافام. كان الوقت متأخراً جدا عندما عاد ويتاكر مع المفتش كان رجلا مسنا ظريفا ومؤدبا جدا مع الضباط تكلم سيرأرثر درو إليه أولا فقال:

– إننا نبحث عن مكان على الساحل الشرقى،، حيث يوجد عدة مجموعات من السلالم عديدة، لكن يستخدمها الصيادون فقط.

قلت:

– إنه ليس المكان

– هناك أماكن العطلات وهى موجودة بوفرة.



كان الوقت متأخراً جدا عندما عاد ويتاكر مع المفتش،

وبها عادة سلالم.

– لا الحقر المفروض أن المكان هادئ جدا.

– إذن أنا آسف أيها السادة. أنا لا أدرى. لكن يوجد فقط الروف.

سألت:

– ما هذا؟

– إنه مكان مرتفع بعض الشيء على ساحل كنت...

قرب برادجيت. هناك بعض المنازل بالجمله فوق القمة وبعضها بها سلالم لم تهبط حتى الشاطئ. إنها شواطئ خاصة طبعا.

– ماذا تقصد بذلك؟

– حسن، الناس الذين يمتلكون المنازل يمتلكون أيضا الشواطئ يا سيدى. عندما تشترى منزلا هناك، تحقق على جزء خاص بك من الشاطئ كذلك. التقطت كتاب المد والجزر وعثرت على برادجيت وكان المد المرتفع فى العاشرة وسبع وعشرين دقيقة فى الخامس عشر من يونيو.

فسألت المفتش:

- كيف أستطيع العثور على موعد المد المرتفع فى الروف؟

- أوه، أعرف ذلك يا سيدى. لقد أقمت هناك ذات مرة فى شهر يونيو. إنه عشر دقائق قبل المد المرتفع فى براندجيت.

أغلقت الكتاب ونظرت حولى.. وقلت:

- سير والتر، هل يمكننى أن أستعيد سيارتك وخريطة الطرق فى كنت؟ وأود الحصول على بعض من رجالك أيضاً يا سيد ماك جليفراى، فقد يمكننا مباغته هؤلاء السادة الألمان غداً صباحاً.

لم يردا على لبرهة. فأنا لا أعمل فى وزارة الخارجية، أو البحرية، ولست فى الجيش البريطانى. لكنى شاب قوى ولقد قابلت هؤلاء الجواسيس من قبل.

وكان روير هو الذى تحدث أولاً، فقال:

- أنا سعيد تماماً فى أن أترك هذا الأمر فى يد مستر هاناى.

وقال سير والتر:

- نعم، نعم، أعتقد ذلك أنا أيضاً.

وهز رأسه لماك جليفراى. وبعد نصف ساعة كنت أنطلق مسرعا عبر قرى كنت. وكان أفضل ضباط ماك جليفراى جالسين بجانبى فى السيارة. وكانت الساعة الثالثة والنصف صباحاً.

* * *

١٠ - المنزل المطل على البحر

. نزلنا فى فندق جريفن فى برادجيت. وفى الساعة السابعة صباحا كنت أطل من النافذة هناك، وكان يوما جميلا.

ورأيت رجلا يصطاد تحت عند الميناء، وتذكرت قصة روبر عن الأسد، ثم وصلت بارجة صغيرة ووقفت جنوب الميناء. فاستدعيت رجال ماك جليفراى، وقلت:

– مفتش سكايف، هل تعرف تلك السفينة؟ لعل ويتاكر بعث بها هنا.

قال:

– لا أعتقد ذلك، فهى عادة تجوب هذا الجزء من الساحل.

وقال لى اسمها واسم قبطانها. فذهبت إلى التليفون وأرسلت برقية إلى سير والتر بخصوص ذلك

وبعد الإفطار مشيت أنا وسكايف على الشاطئ وذهبنا تجاه السلالم على الروف لكننا توقفنا على مسافة نصف ميل منها، وقلت:

- لن أتقدم أكثر من ذلك معك. فهؤلاء الناس يعرفوننى جيدا، سوف أنتظر هنا. اذهب واحسب كل السلالم.

وجلست وراء صخرة وانتظرت. لم يكن يوجد أحد على الشاطئ وكانت الساعة العاشرة عندما عاد سكايف وقال:

- يوجد ست مجموعات من السلالم، وهى تؤدى إلى ستة منازل مختلفة.

وأخرج قطعة ورق من جيبه وقرأ:

- أربع وثلاثين، خمس وثلاثين، تسع وثلاثين، اثنتين وأربعين، سبع وأربعين، وواحدة وعشرين.

شعرت بسعادة غامرة حتى أننى نهضت وصحت. وأسرعنا إلي برادجيت وأرسلنا برقية إلى ماك جليبفراى. أريد ستة من أفضل الرجال، على أن يتواجدوا فى ستة فنادق مختلفة بالبلدة.

قلت لسكايف:

- والآن ارجع للسلالم التسع والثلاثين. وعاين المنزل ثم اذهب إلى مكتب البريد واعرف من يعيش هناك..

وعاد ببعض الحقائق الغريبة لكنها مسلية ؛كان المنزل اسمه ترافالجر لودج ملك سيد عجوز اسمه أبيلتون. وغالبا ما يقيم مستر أبيلتون هنا فى الصيف لقد وصل من أسبوع فقط ولايزال هناك، لا أحد يعرف عنه الكثيرة لكنه يبدو كريما مسالما. وتعلل سكايف ببعض الأعذار لزيارة المنزل ولاحظ وجود ثلاث سيدات هناك

قال:

- انهن يتعهدن بالمنزل ولا يبدو أنهن ألمانيات فهن يتكلمن كثيرا...

قسألت:

- هل لاحظت المنازل المجاورة لترافالجر لودج؟

- نعم المنزل الذى على اليمين خال أما جهة اليسار فهم مازالوا يبنون المكان.



وبعد دقائق قليلة وضع الصحيفة جانبا ونظر إلى البارجة

وقبل الغداء تمشيت على طول الروف وأخذت معى تليسكوب سكايف. ووجدت مكانا هادئا بعيدا عن المنازل فجلست هناك؛ واستطعت أن أرى المنزل بشكل واضح من خلال التليسكوب كان مبنيا بالحجر الأحمر ونوافذه كبيرة. وكانت الحديقة تحيط بالمنزل من كل جانب وكان العلم البريطانى يرفرف فوق صارية طويلة.

وأثناء مراقبتى رأيت رجلا يغادر المنزل ليمشى على قمة التل. كان كبيرا فى السن مرتديا بنطلونا أبيض ومعطفا أزرق وكان حاملا أيضا تليسكوبا، وكانت معه صحيفة تحت إبطه. ومشى حوالى مائتى ياردة ثم جلس على مقعده ليقرأ الصحيفة، وبعد دقائق قليلة وضع الصحيفة جانبا ونظر إلى البارجة من خلال التليسكوب وأطال فى النظر إليها. راقبه لمدة نصف ساعة، ثم نهض ليعود إلى المنزل وعدت أنا إلى فندقى

لم أكن مرتاحا إزاء الرجل العجوز إنه لم يكن يبدو كجاسوس لكنه يمكن أن يكون الرجل العجوز من تلك المزرعة الأسكتلندية.

وبعد الظهر حدث شيء مثير جاءت مركب من الجنوب ووقفت قرب الروف كانت حوالى مائة وخمسين طنا، وترفع العلم البريطانى، فنزلت أنا وسكايف إلى الميناء وتحدثنا إلى حارس

الساحل هناك. وقلنا إننا نريد الذهاب لصيد السمك وهكذا أحضر حارس الساحل زورقًا لنا وأبحرنا خارج الميناء واصطدنا ما يقرب من عشرين رطلاً من السمك ذلك اليوم وحوالي الساعة الرابعة أبحرنا بالقرب من المراكب كانت تبدو مثل طائر أبيض رائع على صفحة الماء.

قال سكايف:

إنها مركب سريعة، إذا أراد أحد أن يبتعد بسرعة فعليه أن يبحر بهذه السفينة، فماكيناتها قوية جداً.

كان اسمها أريادن وتحدثنا مع بعض الرجال عليها، وكانوا إنجليزا بكل وضوح، ثم ظهر ضابط فتوقف الرجال عن الحديث. كان الضابط شابا له وجه صبوح نظيف،

وتحدث باللغة الإنجليزية وبشكل جيد، لكننا كنا متأكدين أنه لم يكن إنجليزيا. كان شعره قصيرا جدا وملابسه كانت تبدو أجنبية تماما.

وفى المساء التقيت بقبطان البارجة فى الفندق، فقلت:

– قد نحتاج سفينتك الليلة أو غدا، هل سمعت أى شيء عن ذلك؟



ثم ظهر ضابطا، فتوقف الرجال عن الحديث.

- نعم يا سيدى، لقد وصلتنى رسالة من البحرية سأقترب عندما يحل الظلام. أنا أعرف ما يجب أن أفعل.

وبعد حوالى ساعة مشيت عائدا إلى قمة التل تجاه ترافالجر لودج وكان الرجل العجوز يلعب التنس مع شاب فى الحديقة،. وأثناء مراقبتى لهما، أحضرت سيدة لهما زجاجات وأكوابا أخذ الشاب الذى كان بدينا بعض الأشياء منها

قلت لنفسى:

- هؤلاء الأشخاص يبدو أنهم طبيعيون إنهم يختلفون عن هولاء الرجال الفظيعين فى اسكتلندا لعلى قد أخطأت ثم وصل رجل آخر إلى المنزل على دراجة كان نحيفا داكنا وصغيرا فى السن. وبعد الانتهاء من مباراة التنس دخل الجميع إلى المنزل.

ومشيت ببطء عائدا إلى الفندق. هل أنا مخطئ بخصوص هؤلاء الرجال؟ هل كانوا يمثلون أثناء مراقبتى لهم؟ إنهم لم يكونوا على علم بأن أحدا يراقبهم وكانوا يسلكون كأى رجال إنجليز.

لكن كان هناك ثلاثة رجال فى ذلك المنزل. الرجل العجوز والرجل البدين والنحيف الأسمر، وكان المنزل يتفق مع مذكرات

سكودر تماما. وكانت مركبة راسية على بعد نصف ميل ولها ضابط أجنبى ففكرت فى كاروليديس وخطر الحرب. وتذكرت الخوف فى وجه سير أرثر درو

كنت أعرف ما يجب أن أفعله. أن أذهب إلى ذلك المنزل وألقى القبض على هؤلاء الرجال. إذا كنت مخطئا، فاتحمل اللوم بنفسى. لكنى لم أحب العملية على الإطلاق وفجأة تذكرت صديقى بيتر بينار فى روديسيا.

كان بيتر مجرما قبل أن يصبح شرطيا فى الحقيقة قبلته الشرطة لذلك السبب كان يعرف جميع المجرمين الحطرين فى البلد. قال لى بيتر إنه قد هرب ذات مرة من الشرطة بسهولة لقد ارتدى معطفا أسود وذهب إلى الكنيسة واختار أن يجلس بجوار ضابط شرطة. وأنشد سويا واستخدما نفس الكتاب ولم يتعرفا على بيتر!

فسألته لماذا لم يتعرف عليه رجال الشرطة؟ فأجاب بيتر:

- لأن المكان والملابس التى ارتديتها كانت مختلفة إنه كان سيتعرف على إذا كنت فى شارع أو فى فندق وكان سيتعرف على إذا كنت مرتديا ملابسى العادية. لكنه، لم يصدق أننى قد أذهب إلى الكنيسة أو ارتدى معطفا أسود .

بهذه الأفكار جعلتنى متأكدا مرة ثانية أن أعداءنا الألمان كانوا حكماء مثل بيتر. إنهم كانوا يعيشون فى منزل إنجليزى والعلم البريطانى يرفرف فى الحديقة. إنهم يستخدمون أسماء إنجليزية ويلعبون لعبات إنجليزية وكانت حياتهم الخاصةإنجليزية تماما، ولذلك لم يشك بهم أحد.

كانت الساعة الآن الثامنة مساءً. وقابلت اسكايف فى الفندق وأعطيته أوامره، قلت:

- ضع رجلين فى الحديقة، واخفى ثلاثة آخرين قرب النوافذ وعندما أريدك سأنادى.

لم أكن أشعر بالجوع لذلك خرجت للتمشية فلاحظت الأضواء على أريادن وعلى البارجة ثم جلست على أحد المقاعد المتناثرة وانتظرت لأكثر من ساعة.

وفى التاسعة والنصف اتجهت إلى ترافالجر لودج لابد أن رجال سكايف فى أماكنهم الآن، لكنى لم أر أى أحد وكانت توجد أضوا ء فى المنزل والنوافذ كانت مفتوحة ورننت جرس الباب.

وفتحت الباب إحدى السيدات فسألت:

– هل يمكن أن أتحدث لمستر أبيلتون؟

قالت:

– نعم يا سيدى، تفضل بالدخول

لقد وضعت خطة وكان أملى أن أدخل مباشرة للمنزل وأقابل هؤلاء الألمان الثلاثة وأتطلع فى وجوههم فى الحال لعلهم يتعرفون على فوراً فيظهر هذا على وجوههم.

لكن عندما دخلت لم أستطع التحرك ولاحظت قبعاتهم وعصيهم ومعاطفهم وكا نت توجد ساعة كبيرة فى ركن البهو، وكانت الصور الإنجليزية معلقة على الجدران وكان المكان يشبه عشرات الآلاف الأخرى من البيوت الإنجليزية وسألت السيدة:

– اسمك يا سيدى؟

– هاناى، ريتشارد هاناى.

فدخلت إحدى الحجرات ونادت، اسمى، تبعتها فى الحال للكنى كنت قد تأخرت إذا سنحت وهلة للرجال الثلاث لإخفاء دهشتهم.

كان الرجل العجوز واقفا منتصبا، وكان هو والرجل بالبدين يرتديان ملابس العشا ء الرسمية. وكان الرجل الثالث يرتدى بذلة من قماش أزرق قال الرجل العجوز:

- مستر هاناى؟ إنك ترغب فى الحديث إلىّ، أعتقد.

اسمحوا لى يا رفاق، تفضل إلى الحجرة التالية يا مستر هاناى.

سحبت كرسيا تجاهى وجلست عليه وقلت:

- لقد التقيت بك من قبل، وأنت تعرف ما أريد، لم يكن الضوء قويا فى الحجرة، لكنى لاحظت أن جميعهم ترتسم عليهم علامات الإندهاش.

قال الرجل العجوز:

- ربما تقابلنا، .لكنى لا يمكننى أن أتذكر، وآسف أنى لا أعرف ما تريد يا سيدى هل تسمح أن تخبرنى؟

وفكرت إزاء بيتر بينار، وقلت:

- هذه هى النهاية أيها السادة الأفاضل. لقد جئت للقبض عليكم جميعا.

قال الرجل العجوز:

- تقبض علينا! لكن لماذا؟

- أقبض عليكم لجريمة قتل فرانكلين سكودر فى «لندن فى الثالث والعشرين من مايو.

قال الرجل العجوز، وبدا صوته واهناً جداً.

أنا لم أسمع بهذا الاسم من قبل.

فتكلم الشاب «البدين عندئذ قائلا:

- قرأت عن ذلك فى الصحف، لكن هذا فظيع.. فظيع

إننا لا نعرف أى شىء بخصوص الجريمة يا سيدى، من أين أنت قادم؟

قلت:

- سكتلنديارد.

ولم يتفوها ببنت شفة عندما سمعوا ذلك وأخذ الرجل العجوز يتطلع إلى قدميه وبدا عليه الاضطراب

ثم قال الرجل البدين:

– لابد أن يكون هذه غلطة يا عمى. هذه الأمور تحدث أحيانا لكن يمكننا أن نثبت الحقيقة بسهولة فأنا لم أكن فى إنجلترا فى الثالث والعشرين من مايو، وكنت أنت مريضا، أليس كذلك يابوب؟ وأنت يا عمى كنت فى لندن، أعرف لكن يمكنك تفسير عملك هناك، هذا صحيح يا بيرسى! والآن ماذا فعلت فى الثالث والعشرين من مايو؟... أوه، ها أنا ؟أتذكر عدت فى الصباح من التمشية... وتناولت الغداء مع تشارلى سايمونز وكنت فى منزل جرانتام بعد الظهر أليس كذلك؟ نعم، هذا صحيح وبقيت هناك كل مساء.

ونظر الشاب البدين إلىّ وقال:

– أخشى أنك قد وقعت فى خطأ يا سيدى سنساعدك إذا استطعنا بطبيعة الحال لكن أحيانا ما تخطئ الاسكتلنديارد وقال أحدهم:

– ستضحك نيللى عندما تسمع هذا!

– أوه، طبعا ستضحك لابد أن أخبر تشارلى عن ذلك أيضا والآن يا مستر هاناى أنا لست غاضبا منك إنك تؤدى واجبك لكنك جئت، للمكان الخطأ.

لا يمكن أن يكون تمثيل هل يمثلون بهذا الإتقان وشعرت يقينا بأن كل هذا كان صحيحا. لقد وقعت فى خطأ وأردت أن أقول «معذرة ياسادة»، وأغادر المنزل.

لكن الرجل العجوز كان أصلع وهذا هو الشاب البدين أيضا والرجل الثالث كان أسمر ونحيفا تطلعت إليهم بعناية وتطلعت فى أرجاء الحجرة كل شيء كان على مايرام. فلم أستطع أن أرى أى شيء مريب فى تلك الحجرة ولم أتعرف على وجوههم.

فسألنى الرجل المسن،

– ألا توافق يا سيدى؟ ألم تأت، للمنزل الخطأ؟

– لا هذا هو المنزل الصحيح.. فقال الشاب النحيف

– حسن إنها مضيعة كبيرة للوقت هل ستأخذنا إلى مخفر الشرطة؟ إنك تقوم بواجبك. أعرف، لكن هذا صعب جدا ولم أجب. وفكرت!

– أوه. يا بيتر بينار، ساعدنى!

وقام الشاب البدين واقفا وقال:

- وربما مستر هاناى يحتاج لمزيد من الوقت، إنها ليست مشكلة سهلة بالنسبة له، دعونا نلعب البردج ولو لمدة نصف ساعة، هل ممكن؟ هل تلعب يا سيدى؟

- نعم إن لدى كثير من الوقت وأحب لعبة البريدج ذهبنا إلى الحجرة التالية، وتطلعت حولى كانت الكتب والصحف تظهر من حولى، وكانت أدوات التنس فى خزانة مفتوحة فى الركن، وكان تليسكوب الرجل العجوز فوق الخزانة.

وجلسنا حول مائدة لعب الورق فى منتصف الحجرة.

وأحضر لى الشاب الأسمر مشروبا ولعبت معه ضد الاثنين الآخرين كان يبدو كأنه حلما، كانت النوافذ مفتوحة. وكنت أستطيع رؤية ضوء القمر المنعكس على سطح البحر الرجراج ولم يكن الرجال الثلاثة ضائعين على الإطلاق كانوا يتحدثون ويتضاحكون سويا لكن قلبى كان ينبض بسرعة لم ألعب جيدا فى تلك الليلة وكانت أفكارى مشتتة فلم أستطع متابعة اللعبة كانت لدى شكوكاً إزاء هؤلاء الرجال، وهم يعرفون ذلك طبعا وتطلعت إلى وجوههم المرة تلو الأخرى لكنى لم أستطع التعرف عليهم لأنهم لم يبدو مختلفين فقط، أنا نفسى شعرت يقينا أنهم مختلفون وفكرت مرة أخرى:

أوه بيتر، أين أنت؟

ثم فجأة لاحظت شيئا لقد وضع الرجل العجوز ورق اللعب على المائدة ليشرب بعض النبيذ، ولم يلتقط الورق لبرهة. وتراجع في كرسيه وبدأ فما دعك أذنه اليمنى وعلى الفور تذكرت المزرعة الاسكتلندية كنت واقفا أمامه هناك ثانية وكنت قد انتهيت لتوى من إخباره قصتي ولقد جلس هو متراجعا ودعك أذنه إنه أمر بسيط ليس إلا لكنى تذكرت ما حدث بوضوح.

زالت الغشاوة عن عيني وأصبح كل شئ جليا تغيرت وجوههم وعرفت كل أسرارهم.

كان الشاب الأسمر الذى يقتل سكودر وكنت لاأزال ألعب البريدج معه، لكن عينيه أصبحتا باردتين وقاسيتين الآن ولقد تغير الشاب السمين أيضا ولم يصبح له وجه واحد، بل عشرات من الوجوه، ولعله كان القائد اللوا في الليلة السابقة.

لكن الرجل العجوز كان هو المجرم الرئيسي بكل وضوح كان جامدا كالصخرة وبلا خوف على الإطلاق وتذكرت كلمات سكودر:



تراجع فى كرسيه وبدأ يدعك اذنه اليمنى.

- إذا رأيت عـينيـه يا هاناى فلن تنسـاهمـا أبداً وكـان هذا صحيحا ماكان لى أن أنساهما

وواصلنا اللعب لكن قلبى قـد أمتـلأ بالكراهيـة وعندمـا تكلم الشاب الأسمر معى، لم أستطع الإجابة عليه

وقال الرجل العجوز:

- بوب! أنظر للساعة إنك لن تلحق بقطارك إذا لم تسرع.

ثم التفت إلىّ وقال:

- لابد أن يعود بوب إلى لندن الليلة وكان الصوت الآن مزيفا تماما مثل وجوههم، فقلت:

- أنا آسف، لكنه لن يذهب اللية

فسأل الشاب:

- لماذا لا؟ لابد أن أذهب. سأعطيك عنوانى

- لا يجب أن تبقى هنا

لعل ذلك جعلهم قلقين. لقد حاولا خداعى لكن الحيلة قد فشلت ولم يكن أمامهم إلاّ فرصة واحدة وانتهزها الرجل العجوز فقال:

- حسن اعتقلني يا مستر هاناي، ودع ابن أخي يذهب.

هل سيكون ذلك مناسباً لك.

فصرخت:

- سكايف!

فانطفأت الأضواء في الحال، وأمسكت أذرع قوية بي.

ولم أستطع الحركة للحظات

وصاح أحد الأصوات:

- شتيل فرانز، زوم بوم، زوم بوم!

وتطلعت من النافذة فرأيت ضابطي شرطة يركضان الحديقة ولقد قفز الشاب الأسمر من النافذة وكان يجري في اتجاه السلالم وفجأة امتلأت الحجرة بالناس، وأمسكت بالرجل العجوز. وسقطت سكايف وشرطي آخر فوق الشاب السمين وعادت الأضواء.

وتطلعت من النافذة ثانية. فرأيت فرانز يصل إلى السلالم قبل رجال الشرطة. وفتح البوابة التي أغلقت نفسها خلفه ولم يستطع رجال الشرطة تعقبه. وانتظرنا للحظات قليلة.



وطارت درجات السلم فى الهواء مكونة سحابة من الغبار.

وفجأة فلت الرجل العجوز منى واندفع إلى حائط الحجرة وضغطت على زر صغير وصدرت ضجة مهولة. من أسفل المنزل. وطارت درجات السلم فى الهواء مكونة سحابة من الغبار.

فصحت:

- ديناميت! لقد دمروا السلالم!

وكان الرجل العجوز ينظر إلىّ ضاحكا وكان ضوء فظيع يشتعل فى عينيه.

وصاح:

إنه فى أمان إنك لا تستطيع تعقبه لقد رحل.

لقد فاز ديرسوارز بستين سيجتريخ!

(لقد فاز الحجر الأسود)

امسك ضابطان من الشرطة الرجل العجوز من ذراعيه.

وقلت آخر كلماتى له:

- فرانمز لم يفز بشىء سوف يصل الأريادن بكل أمان أنا متأكد لكنها قد أصبحت تحت أيدينا منذ ساعة مضت.

ويعرف العالم كله أن الحرب بدأت فى أوائل أغسطس سنة ١٩١٤ الجواسيس الألمان الثلاثة. وخدمت كضابط فى الجيش البريطانى لكن لعل أفضل أعمالى هى التى تمت قبل الحرب

صبرى الفضل

الفهرس



لقد أدركنا منذ
البداية أن تكوين ثقافة
المجتمع تبدأ بتأصيل
عادة القراءة، وحب
المعرفة، وأن المعرفة
وسيلتها الأساسية هى
الكتاب، وأن الحق في
القراءة يماثل تماماً
الحق فى التعليم والحق
فى الصحة.. بل الحق
فى الحياة نفسها.

سوزان مبارك

٢٠٠
قرش